هديل الحضيف

# ظلالهم لا تتبعهم

مجموعة قصصية

بسم الله الرحمن الرحيم

# ظلالهم لاتتبعهم

هديل الحضيف

التصميم والإخراج

نواف الشطيب

الطبعة الثانية

إصدارات | 2011 - 1432

ص . ب: 245430 الرياض 11312

المملكة العربية السعودية

ت / 2296754 - 2294873 تحويلة 110

© جميع حقوق الطبع محفوظة

© جميع حقوق النشر محفوظة

وهج الحياة للنشر
Wahj Alhayat For Publishing

(ح) هديل الحضيف، ١٤٣١ هـ

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

الحضيف، هديل

ظلالهم لاتتبعهم. /هديل الحضيف. - الرياض، ١٤٣١ هـ

١٢٨ ص ؛ ٢١×١٤سم

ردمك: ٨-٩٠٧٥-٠٠-٦٠٢-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة - السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٥,١٩٦٩١ ١٤٣١/٣٨٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٨٨٨

ردمك: ٨-٩٠٧٥-٠٠-٦٠٢-٩٧٨

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب؛
أو نقله في أي شكل أو وسيلة،
سواء كانت إلكترونية أو يدوية أو ميكانيكية، بما في
ذلك جميع أنواع تصوير
المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو
أنظمة الاسترجاع،
دون إذن خطي من الناشر بذلك.

No part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, manual, mechanical, photocopying, recording, or otherwise without prior written permission of the publisher.

# اتجاه

إليهما . .

أبي و أمي . .

« ويهطل المطر »

هديل

## توثيق :

لساعي بريد خذل الرسائل ..
و لوطن استحال لمنفى ..

ثمة بوح .. و فتات حلـــم .. ما زلت أحيا بهما !

## ٩ .. تنويه :

هنا شتاتي ، بلا هيئة ، و بلا شكل ..
أخربشه على حائط العشرين ، قبل أن أغادره إلى الأبد !

رسالة للريح

# ١

يوم اختفيت ، جميعهم بحثوا عنك ، ما كان أحد يعرف أنك معنا سواي ، و أن اختفاءك ليس سوى خدعة من خدعك الكثيرة .

أذكر أنك دخلت الغرفة، و بعدها لم يجدوا لك أثراً ، كنتُ أناديك بصوت مهموس، بينما الجميع يصرخون باسمك كنت أسمع أنفاسك ، و أشعر بها ، و هي تملأ الأماكن التي اعتادت عليك ..

خطواتك الهامسة، و التي لا يشبهك بها أحد ، تنقر برتابة مسمعي ..

يعبر وجهي بخفة، تنفسك الخافت أثناء نومك ..

و رائحة دهن العود التي تميزك ، تملأ الهواء ..

و رغم ذلك ، ما شعر بوجودك أحد ..

صرختُ بهم مرة :

- لقد اختفى في لحظة أبدية ، لكنه معنا ..

و وليتهم ظهري منسحباً بانكسار ..

بعد أن وخزتني نظراتهم الهازئة ..

ثم أتبعوني بضحكاتهم الساخرة ..

لِم آثرتَ أن تتركني وحيداً في الجليد ؟

لِم اخترت توقيت غيابك في ذلك الزمان تحديداً ؟

حينما أحسوا أن حياتك غدت عبئاً عليهم ..

حكموا عليك بالهامش المعتم .. أدخلوك ديجور التجاهل ، و أنت الذي ما غادرك الضوء يوماً ..

لم يؤثر بهم بكاؤك ، و استجداؤك رضاهم ..

و ما عبئوا بالأزقة التي زرعتها بندمك ..

تدرك أنك أخطأت في حقهم ، لكن العقاب كان بالغ القسوة ..

كل دموعك .. الصادقة منها .. و (الكاذبة) ، لم تغن عنك شيئاً ..

و الأبواب التي أنهكتها طرقاً ، ما وجدتَ منها إلا الصدود .. وأقفال ضيعت مفاتيحها ..

وحدي و الليل ، كنا نرقب جرحك إذ يتسع ، و ينزف ببذخ ..

الوسادة التي هجرتها أرقاً ..

أحلامك المفتتة التي ما عاد لها لون سوى البؤس .. فتستحيل لكوابيس تكرس الليل للرعب ..

ما كان لي إلا أن أربت على وجعك ، لتنام و وجهك مبلل بماء مالح ..

يوم أيقنتَ أن اليأس الذي تنشده ، لن تصله أبداً ..

و أنك تعيش على حافة الموت ، دون أن تسقط فيه ..

دخلت عزلتك الغامضة .. و أوصدت الدروب دون الباحثين ..

كنتُ أسمع قهقهاتك و هم يبحثون عنك ..

كنتُ أراك و أنت ترمقهم ، ثم تبتسم بعمق ..

و فضلتُ أن أصمت ، و أكمل معك لعبة الاختباء ..

و ساعة أوى الجميع إلى ليلهم ، متمتمين بالقنوط ، كنتُ أسامرك و أستعيد معك أشكالهم المضحكة ، و سحناتهم الغبية !

اليوم ما عدتَ سوى ذكرى مشوشة في لوح ذاكرتهم ..

قليلون الذين يذكرونك ..

و أقل منهم أولئك الذين ما زالوا يحفظون اسمك ..

و لا أحد يذكر كيف اختفيت ..

« نعم .. مات .. أذكر أنّا صلينا عليه في الجامع ، و دفناه في مقبرة أجداده »

هكذا قال أحدهم ..

متعب أنا ، و وجودك الغائب يزيدني ضياعاً ..

الصحراء تكفهر ..

و الريح تعوي ناثرة في عيون الأمل.. الظلام ..

مازلتُ أطمع أن تعود ، ليكفوا عني ..

و ما زلت أنام على حلم لا يختلف كثيراً عن الأحلام التي تراودني في كل ليلة :

«طائراً بأجنحة من نور .. يحلق في فضاء أبدي.. »

المرسل : أنا ..

المرسل إليه : أنت ..

أوصيت الساعي بأن يتركها للريح .. على ثقة بأنها ستصلك حتماً..

## ظل حيادي

1

حتى أولئك العائدون

من عمق الذاكرة..

لم تعد السماء تمطر لهم !!

ضي

## 2

مكتب سنديان عتيق ..
زجاجة حبر فارغة ...
و باب نصف موصد ..
المطر في الخارج يضرب الأرض بعنف.
نمت حول جسدي خيوط العنكبوت ..
و يدي تمسك بشظايا جرح قديم ..
دقات الساعة الرتيبة ، تتسابق للثانية عشرة ..
بينما النوم يأخذ طريقه إلى كل شيء سواي ..

كحداء حزين .. عادت الذاكرة تستجدي ذكريات الألم ..
تلك الذاكرة التي ما فتئتُ أجرها لأزقة حي مطمور تحت تراب الزمن..
حيث كان النزف الأول ..

***

كنت أغادر عامي الثالث عشر ، حينما سمعتُ صوت أمها صارخاً قبل أن يولد الفجر بساعات قليلة ..

علمتُ صباحاً أن جارتنا أم البنين العشرة، قد أنجبتْ أخيراً .. بنتاً.
عُرفاً ، لم تكن سوى ابنة لجيراننا ، لكني أحسست بها شيئا آخراً .. شيئاً مختلفاً مختلف، كنتُ أبرر لنفسي هذا الأمر كوني وحيداً بلا أخوة ، لكني اكتشفت (متأخراً) أن هذا السبب لم يكن سوى أرض هشة ، تهاوت على حين غفلة من تحتي .
سألت أمي أن أذهب معها ، ثم انتابني شعور أني سألتها أمراً منكراً، فأردفت قائلاً :
ـ لم أر في حياتي مولوداً يا أمي ..
ضحكت .. و سمحت لي بمرافقتها ..

***

قلت لأم سعد :
ـ سموها (ضي) ..
حينما أخبرتني بأنهم لم يختاروا لها اسماً بعد ، لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، لكنه جاء على لساني في تلك اللحظة فقط .
وضعتها أمها بين يدي ، سافرت عيناي في خريطة وجهها المنمنم ، عيناها .. ما دلهما الضياء بعد ، خفضت رأسي و قبلت جبينها ثم أعدتها لأمها .
رغم أولاد جيراننا العشرة ، إلا أني لم أحس بجيرتهم إلا بعد (ضي).
أصبحت أتردد عليهم يومياً .. لا لسبب .. سواها .. حتى نهرتني أمي قائلة بأني أصبحت رجلاً و ليس من اللائق أن أدخل بيت جيراننا.
ألف الناس رؤيتي مع (ضي) في السوق ، بعد أن أكملت عامها الثاني . ضحكتها التي تملؤني فرحاً .. عيناها الواسعتان .. لونها النجدي .. الطيني ، كل هذه أصبحت أساساً في حياتي ..
آخذها عصراً معي للسوق حيث أقف في دكان أبي ، و أتركها تعبث بكل شيء ..و أكتفي أنا بالضحك !

***

ضحكتُ كثيراً في ذاك المساء ، بعدما قالت لي أمي و هي تناولني فنجان القهوة :
- أم سعد تقول:» إن (ضي) .. لا تكاد تعرف سوى (خالد) .. حتى أنا بالكاد

تعرفني .. فكيف بوالدها و أخوتها»
عَلقتْ أمي:
- قد يأتي يوم .. و بالكاد تعرفك ..
ثم أسفر المساء بابتسامة أبي ..

***

لم أشعر بالزمن إلا ذاك الصباح ، حينما طرقت الباب .. لتخرج إلي (ضي) و تخبرني بأن أمها رفضت أن تسمح لها بالخروج معي ، لأنها كما تقول أمها أصبحت كبيرة ، و من (العيب) أن تخرج مع الرجال.
(عمي) .. سأظل أشتري من دكانكم ..
كأنما تعزيني .. و ابتسمت ثم توارت خلف الباب الذي أوصد ببطء ..
«عمي »..
بقيت ترن في أذني .. تتفجر ..
لم أشعر يوماً بالألم كشعوري به ذاك اليوم ..
استلقيت على فراشي ، لأكتشف أن الفلك قد دار عشر دورات كاملة منذ أن أشرقت (ضي) ذات ليلة .

كنتُ أشعر بالغيظ .. بالجرح .. وبحزن دام..
كيف تمنعني أم سعد من ضي و قد قبلتها صَباحاً ما ، بين عينيها؟..
كيف تمنعني و قد أضاءت حياتي لعشر سنوات ؟ ..
كيف يطيب لها أن تغمر باقي أيامي بالظلام دون سابق إنذار ؟ ..
ثم ألفيْتُ نفسي أبكي .. و قد ارتوت وسادتي دموعاً ..
هبط الليل شيئاً فشيئاً على قلبي ، مرَّ زمن دون أن أخرج من الغرفة ، حتى قهوة المساء لم أتناولها مع أهلي ، المرض بدأ يتسرب إلي ، و أخذت الحمى تسري في أوردتي .

طرقت أمي الباب أول الليل ثم دخلت ، راعها منظري ، وجه محتقن .. عرق

نازف.. و جسد مشتعل. لم تتكلم ، أطالت النظر إلي ، ثم وضعت يدها على رأسي، و أدنت فمها من أذني و همست:

- و ما الذي يعنيك من أمر طفلة ؟!!!

أمي ، هي الشخص الوحيد الذي يكاد يفهمني في كل شيء ، كنتُ متأكداً من أنها تعلم عمق (ضي) في حياتي ، و أني ما زلت أعدها جزءاً مني ، قلت لأمي :

- هي طفلة .. لكنها طفلتي .. أم سعد قالت ذات زمن أنها متعلقة بـي.. فكيف تقطع حبلاً ضُفِّر بعشر سنين ؟!!

مسحت أمي وجهي بقماش مبلل ، في محاولة يائسة لإطفاء الحمى التي سرعان ما اتقدت في سائر جسدي ، ثم أويت لنوم متقطع حتى الفجر.

***

ككل الأشياء التي تبدأ كبيرة ثم تصغر ... كانت (ضي) ، شعلة بدأت متوهجة ثم أخذت تخبو رويداً رويداً .

تمر بالدكان الذي آل إلي بعد وفاة والدي ، تبتسم لي .. فأرد ابتسامتها بابتسامة باهتة.. فقدت ألوانها منذ أن حال بيننا ذاك الباب في صباح عمره زمن جريح .

لا يؤلمني أمر أكثر من قولها : «عمي» ، رغم أنها غدت خارج أسواري ، لا زلت أكرهها منها ، كم مرة كادت أن تجمح جيادي لأقول لها : «خالد .. « ، فألجمها قبل أن تنطلق ، و يبقى في قلبي طيف منها في طريق عودتي مساءً ، ثم أقتله حالماً تبتلعني الدار.

اجتاح الركود حياتي ، إلا من بعض الأعمال التي يتطلبها الدكان ، ثم يعود الإيقاع الرتيب لساعاتي .

أمي .. السيدة التي تتربع على عرش قلبي ، تسللت إلى غرفتي حيث الشتاء قد أثقل وطأته تلك الليلة ، حاملة (الوجار) ، ثم جلست بجواري على الفراش :

- أتشعر بالبرد ؟

سألتني و هي تعرف الإجابة ..

- أشعر بالملل ..

زفرتُها .. حارة كئيبة ..

- بلغت هذا العمر .. و لم تتزوج .. و لا تريد أن تشعر بالملل ؟!!

أيقظت فيّ هاجساً غافياً ، حاولت أن أعيده إلى نومه :

- الزواج ليس كل شيء ..

- لكنه سيعيد الألوان إلى حياتك ..

أجبتها بصوت تخلله الجوى :

- ما عاد في حياتي ألوان يا أمي ..

لم تكن تلك المرة الوحيدة التي حاولت بها أمي أن تطرق أبواب القلب المُرتجة .. شيء خفي كان يدفعني للرفض في كل مرة . كل مساء تأتي أمي و هي تحمل لي أسماءً لتعرضها عليّ ، و أبدو كمن يفتش عن ضائع ما .. و حينما لا أجده .. أرد بضاعتها إليها .

- تبحث عنها .. أليس كذلك ؟..

لم أكن أنتظر سؤالاً كهذا ، لا أدلّ دربا لإجابته .. فاكتفيتُ بالصمت، و لاذتْ بالانسحاب .

نهش التفكير كل مساحات عقلي تلك الليلة :

-أحقاً أنا أبحث عنها .. رغم كل مسافات البعد ..

ثم صرخ بي الفجر دون أن تهتدي مراكبي .

***

عشتُ مشوشاً ، تأتي كل (عصر) إليّ لتشتري مني ، حضورها يبني مدناً من غموض ، لا أنتشي ، لا أحزن ، لا أفرح ، و لا أي شعور عادي آخر ، شعور مبهم.. يجعلني أرقب حضورها .. و حسب.

و يظل يقرعني سؤال : أتشعر بي ؟! .. و حينما يتسرب إليَّ صوتها بـ : (يا عمي).. تنهار كل الأسئلة ، و أتقوقع كطير صغير مبلول ..

كنت أعنّف نفسي : كيف تشرّع سفن شعورك نحوها .. و قد كانت ذات يوم طفلة بين يديك ، لم تفتح عينيها بعد ، ثم أذكر قبلتي على جبينها ، فيغرق داخلي

بفيضان ماء مالح ..

***

مثل كل ليلة ، تأتي أمي إلى فراشي ، تتحدث معي قليلاً ، تذكرني بالذي لا أنساه :

- خالد .. أحفادي ..

ضحكتُ بقلب مذبوح ..

رمت السهم الأخير في جعبتها :

- أما زلت تريدها ؟ ..

ظللتُ أحدِّق بخشبات السقف دون أن أتكلم ..

- رجل بعمرك .. بحاجة إلى زوجة .. لا طفلة ..

التفتُ إليها ببطء :

- لكنها لم تعد طفلة .. إني أعد أيامها يا أمي ..

صمتت طويلاً ثم همت بالخروج ، أطياف كلمات كنتُ أراها تتعثر عند شفتيها ..

- أمي ..

قلتها و هي توشك أن تغلق الباب ..

- اصدقيني .. ما الذي كدت تقولينه ..؟

عادت إلي ، و عيناها تمور في بحر من الدمع مائج ..

- خالد .. سامحني يا بني ..

- ضي .. ما بها..؟!

خرج السؤال خائفاً مبحوحاً ..

جرّت حروفها بصعوبة :

- خُطِبت .. و زواجها بات وشيكاً ..

انقبض قلبي .. أحسست بزلزال يضرب أعماقي .. كل ما حولي غدا بلا ملامح ..

كائنات هلامية تموج ..

أمنيتي .. أغنيتي .. ضحكتي .. و دمعتي .. تلاشت كما يحترق نجم السماء ..

و عاد صوتها : «عمي» يتأرجح داخلي ، فغاص الوجع عميقاً .. عميقاً ..

***

ضرب المرض جسد أمي المثقل بالسنين ، فأسرها فراشها ، و بقيت معها ، حتى سكنت أنفاسها في ليلة حالكة تماماً ..

عدتُ من الصلاة عليها ، و في قلبي ألف حزن .. و حزن ..

البيت موحش ، كمعبد بوذي تسكنه الأشباح ، دخلت غرفتي و استلقيت على الفراش أرتقب مجيء أمي ككل ليلة .بدا الصباح ميتاً ، لم أسمع صوت الأواني بالمطبخ ، و لم أشم رائحة (حمس) القهوة.

في الفناء .. بقيتُ أنتظر أن تأتي أمي ، حتى أيقنتُ أنها رحلت لما خلف الأفق .

و على أنقاض حزني ... نما حزن آخر و أينع ..

كنت قد أكملت الثلاثين ، و في الليل تسلل إليَّ صوت طبول من مكان قريب ، فضربت جذور الأسى في أعماق قلبي ، و تحول كل أمل .. لحلم ليلة صيف ..

أغلقت على نفسي حجرة أمي ، و بكيت طويلاً ..

أحسستُ بحزن جامح .. ألم موجع :

- متى كانت آخر مرة بكيتُ فيها؟

قمتُ ألملم بقاياي ، و خرجت متسربلاً بالظلام ، و أنا أغلق الباب للمرة الأخيرة ، جُرِحت يدي جرحاً ما زلت أنكأه كل ليلة .. كي لا أنسى ..

مررتُ بدار (ضي) .. و تلوت تراتيل الوداع الأخيرة ..

ثمة جدران طين عتيقة ..

## ظل حيادي

٩

هو الرحيل ..
لم يتعظ ..
مازال يوقد الليل بالأسى ..
ويقتل الضوء الشحيح
تاركاً الظلمة تموج في القحل ..

# مدن خرساء

# 3

- لا تعد . .

سمعها مع صرير الباب الذي أُغلق خلفه . .

- لن أفعل . .

ثم مضى يثير أغبرة الأزقة .

لفظته القرية سريعاً ، بعد أن ضاقت بخطاه المزعجة . لوهلة ، امتلأت روحه سعادة بهذا النفي المبكر ، لأن المكان لا يسمح لصعلكته بكثير من التسكع . . و الوجوه أكثر من أن يحتمل عبوسها . .

مشى عبر الشارع الوحيد الذي ينخر القرية المصابة بالصحراء . .

استقبل وجه الشمس . .

و شدّ رحاله الشحيح نحوها . .

***

النهار رماديّ السماء . .

يعبر الأوردة بذاكرة ناقصة ، و أنفس ما فارق طباعها النزق . .

مذ وعى على بلادة القرية ، و الأسئلة تموت على أعتاب علامة استفهام ، لم يجد إلا إجابات بمعالم خافتة ملقاة على حواف الدروب .

ما من بيت من البيوت التي خلّفها وراءه ، آواه يوماً كاملا ؛ يفتح له أحدها بابه صباحاً ، ليجد قدمه تلعق نواصي الطرق في الليل ..
و ترمي له بفتات غدائها .. لتحرمه العشاء ..
لايعرف أي غياب أخفى والديه
سمعهم يتهامسون مراراً بأن وجهه (الأسود) تسبب في مقتل والده الذي كرّس العمر لانتظاره ..
أما أمه ..
فقد ساهم والد (محماس) في رجمها، كما قال له محماس نفسه بعد عراك بينهما، حينها .. لم يعبأ بالأمر كثيراً، ابتسم، وترك له هالة زرقاء حول عينه الأخرى.

(أم سليّم)، التي غالباً ماتخلط بينه وبين ابن أختها مسعود، وأحياناً تظن أنه ابنها (عايد) الذي جرفته السيول في سنة (الغرق)، فتحتضنه وهي تبكي، ثم تنتبه إلى خطئها، لتدفعه عنها بجفاء، قبل أن تطرده خارج منزلها، هي تشتمه .. مرة، حاول أن يسألها فأجابته:
- لقد ولدت في نفس اليوم الذي ولد فيه (ابن فالح)
قبّل رأسها، ثم تقيأ على عتبة دارها.

***

ليلة قديمة ، تخيلتُ أن الشمس هي أم الأرض ، و أنها قد أقسمت أن تتبنى كل الأطفال التائهين ؛ لم أنم تلك الليلة ، انتظرت الشمس لأخبرها بأني عازم على الرجوع إليها .
كان صباحاً مختلفاً ، وجدتُ الكون مغموراً بنور لطيف ، لم يكن له مصدر واضح، كل ما أراه : سيل من الوهج اللانهائي ، يومها .. أيقنتُ أن الشمس أمي، و أنها بهذا النور تخبرني بقبولها بي ابناً لها .. البارحة فقط ، قررتُ السفر إليها.
يممت وجهي شطر الشمس قبل أن يستيقظ الفجر ، لم يكن قد ظهر سوى شعاعٍ باهتٍ ، ما حمل الضوء في ثناياه بعد . حملت على ظهري قليلاً من طعام ، وَ

كثيراً من حلم .. و امتطيت صهوة أمل للرحيل.

***

مساحة من أبد ، تتهادى كالمستحيل.. و على خط بعيد ، تلتقي السماء بالأرض . أصوات مبعثرة لديكة و حمير تأتي من خلفي ، و صمت نديّ يمتد أمامي بلا مدى. أغمضتُ عينيّ ، و أسلمتُ خطاي لرائحة مطر عتيق.

رحتُ أركض نحو الشمس حين أطلت برأسها ، فيض من حبور داخَل روحي المترعة بالجروح الطرية ، و أخذ بنكهة الغيم و الشيح .. و تراب ما غادره البلل بعد ..
شعرتُ بحلمي يحلق بلا قيد ..
بيدين مشرعتين لاحتضاني ..
بأمي .. الشمس ، تخبئ أبي من خلفها .. ثم تعلنه لي كهلال العيد ..
كل شيء كان يحمل فرح المرة الأولى ..
دهشة المرة الأولى ..
و ضحكة طفل امتلأ بالعالم فجأة !
حملتُ جسدي على قدميّ ، و مضيت أجري باتجاهها ..
كانت هناك ، حيث الخط الذي تتعانق فيه الأرض و السماء بمنأى عن أعين أهل القرية الثرثارين ، و في كل مرة ، كانت (أمي) توغل بالبعد ، تاركة قدميّ نهباً للجروح .. حتى سقطتُ خائر الحلم ..

***

لا صوت إلا صفير الكثبان البعيدة ، تعربد بها الريح ، و تدفن برمالها منابع الحياة.
طوفان من الضوء الصاخب يقتحم عينيّ ، ثم يرتد عنها تاركاً بقعاً سوداء تموج داخلها ، و خيالاً لماء بعيد .
عطش حارق يتسلق جدران حلقي ، و يزرع كتل لهيب في أرجائه ..

بحثتُ عن سلم يصعد بي إلى (أمي) التي ارتفعت في السماء ، و حين أعييتُ ، بكيتُ راجياً منها أن تسامحني ، و أن لا تتخلى عني ..
ساعات طويلة مضت ، و (أمي) تزداد غضباً ، و تزداد علواً ؛ كانت تسكب على رأسي حمماً و جحيماً ، دون أن تعير عطشي إرواءً ..

***

لم يلحظ أحد غيابه.. عبر حياتهم مجرداً من الرائحة ، و غاص في النسيان سريعاً.
ربما تخيله أحدهم ، كطيف لا يعرف كنهه ، و لا اسمه ، قابله يوماً ما .. في زمن بعيد، و مكان بلا ملامح ..
يـراوده الحديث عن نفسه ، ثم يمضي و هو يلوك صمته ، و ينهر ذاكرته الخائنة..

***

فقدت الأيام ترتيبها.. النهارات و الليالي تتكرر على جسدي بذات المقدار، لم أعد أعرف في أي جحيم أنا.. و لا تعويذة الخلاص ..
سكن الهواء تماماً. صهير الأرض يموج من تحتي ، غدا حساب الزمن غير ممكن، و الموت يحوم فوقي دون أن يحط .
بلا وعي ، حملت يدي متلمساً بها وجهي الجاف ، ثمة شعيرات أخذت تنفر من فوق فمي المتقرح ، و أقل منها بزغت في ذقني ، ربما صرختُ حينها .. أو لعلي رقصت ؛ لا أذكر ما الذي بدر مني .. لكني أذكر أني وليت الشمس ظهري ، بعد أن قلت لها :
- شكراً.. لم أعد بحاجة إلى أم ، لقد أصبحت رجلاً ..
أحسست بها تهبط.. تبرد.. ثم تربت على كتفي ، بعد أن ابتعدتُ عنها كثيراً..

***

اقتحم خبر عودة القافلة كل البيوت. زمن غابر ذلك الذي أشاع خبر مقتل أفرادها، و قليلون الذين يتذكرون تفاصيل ما حدث، لكنهم تقاسموا جميعاً دهشة عودتهم للحياة . .

نشطت الذاكرة الجماعية الخاملة ، و هم يحكون للعائدين من الموت كيف تلقوا نبأ نعيهم . بزغت في نتوءات الحديث : سراديب العزاء ، التجارة البائرة ، و الأموات الذين ما وجدوا من يبكي عليهم فمضوا لنهاياتهم مجردين من كل ذكرى.. و التهم سهرهم الليل . .

-إذن لم يمت أحد ؟!!

- لا ! ابتلعتنا الصحراء ، حتى إذا ما لاكت أعمارنا . . بصقتنا . .

فعدنا إليكم !

اجتاح القرية فرح غريب ، هي التي لم تتقن سوى الجفاف و الجدب على مدّ عمرها القديم، حتى أولئك الذين لم يبك عليهم أحد يوم ماتوا، وجدوا أنفسهم يرقصون ، و حناجرهم تضخ الغناءَ ببذخ . للمرة الأولى تضوع الأزقة كلها برائحة اللحم و العود .

من بين الصخب ، نزّت صرخة شقت الضوضاء :

- رجل ميت . . رجل ميت !!

توقف الفرح فجأة . . و التفت الجميع إلى حمود ابن الخباز ، مذيع أنباء القرية . .

- أقول لكم . . هناك رجل ميت على مشارف البلدة . .

- من هو ؟

- لا أعرفه !!

مشى الجميع نحو المكان، يقودهم حمود بوجه لم يخلُ من نشوة سبق الاكتشاف . .

- هل يعرفه أحد ؟ سأل العمدة . .

كل الرؤوس اهتزت بالنفي . . و بعضها أبدت عدم اكتراثها و عادت لاستئناف الفرح . .

- ربما كان عبداً آبقا من إحدى القرى .. هكذا قرر العمدة ، و أمر بأن يدفن في مكانه ...
اعترضت ثلة من الموجودين ، و طالبت بأن يصلى عليه و يدفن في مقبرة القرية؛ لكن العمدة استفتى إمام المسجد فأفتاه بأن العبد الآبق لا يصلى عليه و لا يدفن مع المسلمين ، لأنه خالف ولي أمره .
انتشى العمدة لموافقة حكمه حكم الشرع ، ثم أخذ يحث الموجودين على العودة لإكمال الحفل.

***

استيقظت القرية على شعور يشبه الندم . الحناجر التي صدحت بالغناء طوال الليل ، تآكلت صمتا. تدلت الرؤوس على الصدور بحياء كثيف ، و كل الأعين تحاشت بعضها . البهجة إثم ينبغي أن لا يتكرر في مكان كهذا ، و ما كان من اللازم أن يبالغوا بالفرح لعودة قافلة !

أخذ الصمت يتكور ، يمتلئ بلزوجة الخطأ ، و الأنفس اللوامة. الدكاكين فتحت أبوابها دون كثير من الإزعاج ، لـ قلة ارتادوها قبل أن يغادروا على عجل . و اكتفت الحيوانات بشيء من ثغاء و نباح و مواء ، و أصوات أخرى تتعثر بالصمت ..

صوت وحيد ، أخذ يتسلق جدران السكون ، يطرق الأبواب المغلقة على عارها. بدأ خافتاً مبحوحاً ، مكدساً بالرجاء و آثار نشيج طويل، و انتهى بصياح فتح مصاريع النوافذ المظلمة . من خلف العتمة ، ومَضت الأعين مستنكرة ، و تركت في الدروب رائحة شرر قبل أن توصد النوافذ مرة أخرى.

ليال طويلة، و الصوت لا يعبأ به أحد ، لكنه ما عاد يعبر الأزقة وحيداً ، صوت آخر مشبّع بالبكاء انضم إليه ، و أصبحا يوقظان الصبح مبكراً ؛ ينثران الدمع على عتبات البيوت ، و يستجديان إجابات لأسئلتهما .

***

ضائع في الغياب ..
غائب في الضياع ..
و مجنونان يبحثان عن ولد لهما ابتلعه ثقب حالك !

## ظل حيادي

### 3

أخبرتك كثيراً بأني لستُ عميقة . .

بل مظلمة . . !

# ذاكرة ممسوحة

# 4

لا تعلم متى تسربت أشعارك من جعبة صمتك ..
مثلما تجهل كيف أصبح حرفك المهموس ، صوتاً يتخذ من حناجر الآخرين مأوى..
كل شؤونك الصغيرة ، تقاسمها طلاب القاعة ..
و اللقب الذي أطلقوه عليك صمتاً ما : «الصندوق المغلق»، أضحوا جميعاً يملكون نسخة من مفتاحه ..
رغم كل ذلك ، لم تغير عاداتك ، وحدها نيتك التي غيرتها . هذه المرة لم تجلس في المقعد المتواري خلف نتوء الجدار ، هرباً من المشاركة مع الدكتور ، بل من أحلامك التي استحالت إلى لوحات تتخذ من عيون الآخرين جدرانا تتعلق بها ..

قصائد درويش ، أصبحت منقوشة على دفاتر ليست لك ..
نجمك ، يتمتم به خالد ..
و مشعل يسخر من أمنياتك (التافهة) بصوت عال ..
تحاول أن تتجاهل كل ذلك بجمع شتات ذاكرتك ..
بيت للسياب .. مقطع من (جلجامش) .. أو حتى تفاصيل حلمك البارحة ..
فلا يرتد لك إلا بياض ، و صوت تخاذل القلم بين أصابعك .. ومشعل يسخر من أمنياتك مرة أخرى !

تستأذن من الدكتور لتبحث عن ذاتك التي أضعتها ..
البهو يتلقف أنفاسك اللاهثة ..
و لعنة تختلج داخلك ، تخجل من البوح بها ، على هذا الأسبوع التعِس:
« اختبار حُرمتَ منه ..
هاتف مسروق ..
و سيارة تهرّب الزيت .. »
تُغرِق تعبك في كوب قهوة ، قبل أن تنتعل الممر عائداً إلى القاعة ..

***

أخذت القاعة تتخلى عن الطلاب بعد أن أنهى الدكتور المحاضرة ..
و ما استعدت ذاكرتك بعد ..
كنتَ تنتظر أن يفرغ المكان ، علّك تجد سراً لم يُكتشف في أحد زوايا القاعة ..
وحده .. مشعل .. لم يخرج ..
انكفأت على مقعدك ..
أخذت تعبث ببياض الورق أمامك .. منتظراً خروجه ..
اقترب منك ، و يده متوارية في جيبه ..
لملمت شخبطاتك ، و استعددت للرحيل ..
- هيه .. وين يا أبو عز ؟
- طالع ..
- مضيّع شي ..؟
تنظر إليه ، و ثمة (نعم) تريد أن تقولها .. فيخذلك صوتك ..
- ما عليك شرهه .. حاط ذاكرتك بجوالك ، من وين بتذكر شي ؟!!
أخرج هاتفك من جيبه ، و وضعه على الطاولة المبسوطة أمامك ، بطريقة تشي بالفضل :
- معليش أبو عز ، أنت نسيته بالكافيتيريا الأسبوع اللي فات ..
و حبينا نتسلى فيه أنا والشباب .. قبل ما نرجعه لك ..

لم تسمع ما قاله ، لأنك كنتَ مشغولاً بفتح (الحافظات الشخصية) ، و لم يسمع منك إلا صرخة ألم حينما وجدتَ :

(فـــارغ) ، تتربع على صدر الشاشة !!

## ظل حيادي

### 4

قبل أن تتمادى . .
الورق ليس سوى كذبة العمر الأزلية . .
و القلم أكبر متواطئ في الجريمة . .
و قبل أن يسحبك الزيف إلى وحله . .
ثق بأن ما يكتب في بياض الأمل . .
يمحيه سواد اليأس !!

# مطر قاحل

# 5

خلف الأبواب الموصدة لبيوت الطين تموت حكايا .. و تذبل على وقع الصباح كلمات تسربت من شقوق الليل ..

تشمخ نخلة لتناطح الشمس ، و سماءٌ تكاثفت فوق سقف قرية امتطى الغبار أزقتها الخاوية ..

و من هشيم الأمس .. ينبت نهار ..

هنا وجوهٌ تحترف الحزن .. تتقن رسم الملامح على شاكلة أرض عطشى بـ ألوانِ سنابلَ تموت ..

تقتات على فتات أغنية لحادي قافلة اخترقت الأفق ذات رحيل .. و لم تعد !!

«لا شيء يغري بالبقاء.. لاشيء»

انفرطت من فمه .. بينما البلح يتساقط (خمِجاً.. حامضاً ) على رأسه !!

***

منذ آخر مرة عانقت السماء أرضهم .. و الليل يبتلع واحداً أو اثنين منهم ..

لا أحد يعرف كيف يتلاشون ، لكن ثمة من يقول بأن النجوم تلتقطهم .. ليقضوا بقية حياتهم بالمطر ..و آخر يجزم بأنه يسمع أصواتاً في غيهب الليل ، سرعان ما تختفي حين يخلع الليل ظلمته ..

يركزون وتد أبصارهم في الشفق .. و يلوكهم الانتظار .. ثم يوارون أدمعهم بأطياف ابتسامات منهكة ..
و تشتتهم الدروب ..

***

سنى .. و حلم
كل ما تبقى له في صدر أدمن قلبه ضخ الوجع .. كل ما تبقى له ، بعدما شقق الموت أرضه ، و نهبت الريح سنابله ..
و غدت نخلته شاهد زمن لملم أيامه و هرول باتجاه هجرة أبدية ، تاركاً له ذكريات تستنزف ذاكرته ..

***

في فضاء استوت تضاريسه ، أخذ الضجيج يتبدد ببكاء مبحوح .. (كِسَر) دواب مهزولة ..
أطفال يتلمسون منابع الحياة في صدور أمهاتهم ..
و حناجر يتحشرج بها الصوت :
- اللهم أغثنـــــا ..
و الأكف ترتفع واهنة .. ترتعش ..
- اللهم أغثنـــــا ..
و نزيف القحط يغمر المكان ..
- اللهم أغثنـــــا ..
تمر السحب عقيمة .. تغري بـ القطر .. دون أن تهبه ..
سنى يخبو ..
و حـلم يحتضر ..

***

يبعثر خطاه فتتوه به .. تنتشله من جدران الطين الشاحبة لتودعه عمق الفراغ.
هناك ..
تنتفي الأبعاد .. تنصهر المسافة ..
«كانت يوماً ... ماءً »
رميم عظام ينسحق تحت قدميه .. يختلط بالأرض و يختفي ..
يمضي نحو نقطة تتهادى في البعد .. يبعثر خطواته في الأزل ..
ثم يعود ليجمعها .. ناقصة من دمه .. نبضة !
افق بكامله ، محل بظلام ، و فحيح .. يزحف نحوه ..
يلتفت خلفه .. باحثاً عن درب عودة يمتطيه .. كل الاتجاهات تحاصره .. توقد يباباً و نهاية ..
يتهاوى ..
الرمل ينهش وجهه ، يخمش الجلد .. فتتساقط مزق لحم كست وجهه ..منذ جفاف سالف .
يقاوم الريح ، و هي تغترف الشوك لتغلق به نوافذ الحياة تباعاً .. يلوذ بـ (بشته).
يحكم لف شماغه حول رأسه .. وكل الآفاق تتلاشى .. تعربد الريح ..
تردد قهقهاتها الكثبان .. ثائرة ..
السنا ينطفئ .. و الحلم يموت ..

شماغه المهترئ لم يعد له جدوى ، مزقته الريح لتنتهك ما تبقى منه..

***

ثمة من قال .. بأن النجوم التقطته .. ليقضي بقية حياته في المطر..!
آخرون يجزمون .. بأنهم سمعوا صوتاً مبحوحاً في خاصرة الليل سرعان ما اختفى حينما ارتدت السماء شمسها !!

## ظل حيادي

### 5

المكان هنا مليء بالفجوات ..

سأملؤه .. بذاكرة مكتوبة بحبر رديء !!

الجمعة
12:10 pm

# 6

الصمت صاخب .. إلا من رتابة الأقدام التي تعبر الممر ، مؤرجحة خطاها بين البعد و القرب ..

منذ أن عادوا بي إلى هنا ، و أنا أحاول أن أنجو بالذاكرة التي اقتحمها بصوته اللزج، فترك التفاصيل للتيه ..

كل ذكرى ، تتفلت مني ، و تغور في العمق الحالك ، تدفعني لأن أعبث بأوراق الزمن مرة أخرى لعلّي أمسك بصوت قديم ..

وجهاً.. فوجهاً.. تظهر لي ملامح غائمة، و أسماء تومض أحرفها على الجدران الصفراء المنتصبة في كل الجهات، و تطرق كتلة الحديد التي صُبّت دون الشمس.. لم أستطع تمييزها تماماً ، بيْد أني أعرفها حتماً !

***

قبل أن يعصب الجندي عينيّ ، اختطفتُ الوقت من الساعة المتشبثة بالحائط .. و منذ أن أغلق الباب دوني ، توقف الحارس ثلاث مرات ..

كنت قد رجوت الحارس أن يقف على رأس كل ساعة .. دقيقة واحدة، لأعرف كم من الزمن يفصلني عن الموت .. و كي لا تداهمني النهاية قبل أن أنتهي من اغتصاب الماضي بأكمله .

أخبرني بصوت مشوب برائحة سجائر عفِنة :

ـ تكمل شبابك بالجنة ..

لم تفلح تقاطيع وجهه الناعمة في إخفاء الخبث الذي ينز من عينيه ..

مذ تولى التحقيق في قضيتي ، و هو يحاول أن ينتزع من سكوتي حديثاً يملأ به الأوراق التي تتبعثر على سطح مكتبه ..

و منذ ذلك الحين ، و أنا أماطل بصمتي ، و أغمض عينيّ حتى لا تبوحا بشيء بالرغم عني ..

الساعة الثانية عشرة .. هكذا أخبرتني الوقفة الأخيرة للحارس ..

لا أعلم أيهما الذي يهرب من الآخر ..

أهو العمر المنهك ..

أم بقايا الحروف الذابلة ..

أو أن كلاهما يتسربان من الشارع الخلفي للذاكرة ..

البرزخ بانتظاري بُعيْد الليل ..

قبل أن يتنفس الصبح ..

قبل أن تستيقظ دعوات أمي ..

و قبل أن يصعد والدي (السكريّة) ليخرفها ..

ثمة صوت سيصرخ قبل أن يعتريه صمت سرمدي ..

سيتحشرج قليلاً .. ثم يدخل في غيبوبة الموت البعيد ..

و سأكون أنا الشاهد عليه .. لن يسمعه أحد سواي ..

لن يكون المحقق موجوداً ليرصد النبض إذ يغور في عمق النهاية ..

قد يكون حينها مع متهم آخر في مكتبه الكالح يحسب عدد الأيام المتبقية له ..

أوربما عند بوابة فخمة ، ينتظر الإذن بعبورها ، مطرقاً الرأس ..

أو في أي مكان آخر ..

الأهم ..

أني قررت الرحيل بلا ضجة ..

***

الساعة الواحدة ..

ويطول وقوف الحارس ..

حبل الحياة ، يفتل بقوة ، لن يأتي الفجر إلا وقد انقطع ..

ذاكرتي ما زالت عصيّة على الاقتحام ، القلم الدقيق الأبيض الذي هربه لي (العسكري) ، يتخبط بين تواريخ بدت لي غامضة ، و مربكة ..

١٤١٧ / ٢ / ٧

١٤٠٩ / ٨ / ٢٥

١٤٢٣ / ٥ / ٩

١٤٠٠ / ١١ / ١٢

تعبر أذني أصوات متداخلة .. بكاء طفل .. كوابح سيارة مسرعة .. طلق ناري .. ثرثرة امرأة ..

و صوت يعلوها يصرخ بي :

« أنتظرك عند النهايات .. »

ثم تتلاشى جميعها ببطء كالدخان ..

***

لم أعد أميز الوقفة الأخيرة للحارس ..

ربما يطرقون عليّ الباب الآن ..

ربما بعد ساعتين ..

سيداهمني الرحيل ..

سأضحك ، و ربما سأغني ..

سمعتُ أنهم يلبون الرجاء الأخير للمحكوم عليهم ..

قد أطلب شيئاً من الكافيار ، أو ثمر جوز الهند !

لا .. لا ..

سأطلب من الجلاد أن أجرب أنا بنفسي أن أقطع رأسي ..

و أحدث رأسي المقطوع ..

سأوصيه بأن يغمض عينيه جيداً ، وأن يطبق شفتيه بحرص ، حتى لا يتسرب البوح، دون علم منه ..

و سأتمدد براحة في الحفرة الصغيرة ، دون رأسي الأمين !

***

للمرة الأولى أسخر من جراحي ، و تبادلني سخرية أمرّ ..

تطل أمي من كوة ماض بعيد ، مجللة بالضوء ..

يقبل أبي متسربلاً بالماء ..

يرافقهما أصوات مشوشة لثغاء أغنام ، و حنين نياق ..

و طعم لماء بئر .. يستقر في حلقي ..

كيف يمكن لميت أن يفكر ؟

أن يتلهى بـ (تقشيم) ذاكرته ، انتظاراً للموت !

ربما فات عليّ أن أسأل رفيقي الذي سبقني إلى (الصفاة) !!

## ظل حيادي

## 6

سيحدث أن يوقد الليل عتمتهُ ..

وأن يغادر الأصحاب، وعلى ظهورهم الأحلام مضمخة بالضوء ..

سيحدث أن تبحث عنهم ..

فلا تجد سوى حبال تعلقك بالموت .. وبالغياب !

# انطفاء

# 7

تغتالكِ المسافات ، تمعن في التوحش ، و تمعنين في الهروب ؛ و الباب يلفظكِ للمرة الأخيرة خارج المبنى .

الأيام الفائتة مازالت تموج في الذاكرة المتعبة . تقتات على بقايا الأحلام التي كنتِ تحملينها قبل أن تعبر بكِ الدوامة إلى الفيافي المجدبة .

قبل أن تتبعثر الأرقام على وجوه الأوراق ، فتحيلها إلى أفواه بشعة تلتهم العصافير البيضاء .

في يوم أشرق قبل سنتين ، كانت العصافير تسكب ألحانها في الفضاء، فيشيعها الكون مقاطع عطور لا تذبل . بدأت حينها خطواتكِ الأولى نحو (العالم الكبير) ، و بيدكِ نفس الملف الذي يحتوي خيباتك اليوم . هذه المرة بدا باهتاً كالصور القديمة، تنفض عنها ألوانها .. لتبقى أسيرة لونين فقط !

أتذكرين ؟ يوم كانت عينيكِ تلتهم الأسماء ، بينما يداكِ تتوهان بين صفحات الجرائد بحثاً عن اسمك ؟ و لأن الحرف الأول من اسمك يحتل ذيل القائمة الهجائية، احتللت السطر الأخير من السطور المتراكمة في الوريقات القليلة ، و قبل أن تعلني عن خيبة أملك ، يطالعك اسمك بحروفه الأربعة ، يضحك لك ، فتكتفين بتنهيدة تطلق كل الأمنيات التي حبسها الصيف في الصدر الحرِج .

كأشواك شرسة .. تنغرز في أذنيك أقاويلهم . تتابعين المسير . في هدأة الليل

تقسمين للسماء أنكِ أكبر منهم ، فترسل نجماتها إليك لينتزعن الأشواك من خاصرة الأحلام.

تمضين نحو القابعة خلف المنضدة الصماء . تتفحص أوراقك ، ثم يتردد نظرها بينك و بين الأرقام المحشورة في المربعات الضيقة . بجرة قلم ، تعلن أنكِ قد دخلتِ (أخيراً) العالم الكبير .

جذوة من الحماس تتقد بين جنبيك ، رغم الخواء الذي يستوطن المكان منذ أن ابتلعت الطرق رفيقات الماضي ، تسبلين جفنيك على ذكراهن ، و تواصلين امتطاء الدرب الطويل .

الذكريات تطوف بكِ في الممرات ، المزروعة ذات آمال بمذاكرة سريعة قبل محاضرة، أو بكتابات على حواف الأوراق. تدخلكِ القاعات ذات الإضاءة المحتضرة ، و الجدران المنطفئة . و تجلسكِ أخيراً ، على الطاولة التي ألفتِ تناول إفطارك عليها مع الصديقات الجدد .

الانسحاب من الذكرى تبدو محاولة فاشلة . السيارات تمرق من أمامك ، و أنتِ بانتظار السيارة التي ستقلك .. و هي لا تأتي !

تلح عليكِ الذكريات مرة أخرى . تمارس سطوتها بجبروت أقوى ، تذكرك بالنقوش الدقيقة على تفاصيل الذاكرة . ببقايا الكلمات التي ما زالت نكهتها حاضرة منذ اليوم الأخير .

الذاكرة تقسو ..

تنهال على الروح بومضات لا ترحم ..

تمطر عيناكِ مطراً مالحاً ، يقع على النفس القاحلة فتتشقق وجعاً !!

***

- هيه .. أنتِ الواقفة هناك .. ماذا تريدين ؟!

- أريد أن أسحب ملفي ..

- املئي الاستمارة التي أمامك ..

الاسم : هاربة من الدروب الموحشة .

القسم : الإحباطات المتوالية .
الفرقة : الأخيرة .
و نفس القلم الذي مشى فوق أوراقك قبل عامين ، و سمح لك بالعبور .. هو الذي أصدر أمر النفي هذه المرة !

***

ثمة أسئلة تشاكسكِ بالداخل .. تتمرد .. و تثور /
لم هربتِ ؟ .. كانَ بإمكانك ترويض الدرب ؟
تَقمعينها بديكتاتورية مزيفة ، ثم تنصبين الصمت حاكماً .
الظهيرة تطبق على الزمن ..
بصرك معلق بالأفق البعيد ..
و يدك ما زالت تقبض على الملف ..
الهواء الساخن ينفذ للمسامات . يعود التمرد للداخل ، و يعصف الجموح بالذاكرة مرة أخرى .
من بين الأنقاض ، يشمخ المنبر الخشبي في القاعة ، ترتقيه إحداهن في كل مرة.
تنصتين ببقايا السمع الذي اغتالته الحرارة اللافحة إلى أصواتهن .. يرددها الفضاء.
ثم تتهاوى الأصوات على وقع السكون.

***

- أنتِ يا بنت .. أدخلي ..
- أنتظر سيارتي ..
- سينادي عليكِ إن حضر ..
- ماتت النداءات يا عمي ..
ينظر إليكِ بدهشة ، عُقد تعلو لسانه ، فيتركك للنداءات التي تموت.

***

الملل يعبث برمادكِ . أصابعك تعبث بأزرار الهاتف الجوال ، و يدكِ الأخرى ما زالت تقبض على الملف .

رنين يسرّب حياة لجهازك . صوت قادم عبر الأثير ، يعلن حضوره بعد دقائق .

تتأهبين ، شك يكسو عيني الحارس ، فيكتفي داخلكِ بتجديد بناء الأمل المتداعي .

تمتطين السيارة القادمة من خلف مرامي البصر . ترمين الملف ، ثم تنشرين أوجاعك بين يديه :

- أبي .. الظلمة تكتنف الطريق ..

صمت يمارس طقوس الهيبة و الوقار ، فسحائب تملأ الفراغ ..

يأتي الصوت .. مطراً .. خزامى .. و شذرات فضة :

- و ثمة شموس أخرى تتوارى خلف الأفق .. ما زالت تنتظر أن تكشفي عنها ..

# ظل حيادي

## 7

كل شيء بعدك.. يشي بك!

# تسجيل خروج

تسجيل خروج

# 8

أخبرني وصوته يحمل رائحة السنين، وعبقاً لابتسامة خافتة:

«رسائله تطرق أبواب الحلم»..

حدثني يوماً عنه.. ثم أمسك، لم يعد يحكي عنه ولا عن غيره..

منذ صبتنا السبل في مصب واحد، والصمت الذي تضخه الجدران لم يتوقف، كان ثقيلاً..

بطيئاً.. خافتاً..

لكن ألفناه..

لم أكن أكرهه، بل على العكس تماماً..

ثمة ود ينبعث كذبذبات خفية.. لا أعلم إن كانت تصله..

رغم ذلك.. دوماً ما أحتفظ بابتسامة لم أره يمنحها غيري..

***

انتهك خرس حروفه بعد مساءٍ أنهكه بمحادثة طويلة عبر الماسنجر..

اقترب مني، صوته لم يختلق بعد.. كان ينتظر أن أتوقف عن تقليب الصحيفة التي مضى على تاريخ صدورها يومان، كوب الشاي الذي تركته على المركاة، تلاشت أبخرته..

تركت الصحيفة..

ونثر كلامه بين يديّ:

«استوطن الأحلام منذ زمن.. وأصبح يرتادها كل ليلة، لم يكن يحمل وجهاً محدداً.. لكن صوتاً قد انزوت في أحد أركانه بحة مهموسة، ورائحة تنفذ إلى روح مباشرة، كانتا كافيتين لإعلان وجوده»..

سكت، وأغمض عينيه طويلاً، وكأنه يريد استحضاره كما الحلم، أما أنا فقد التفتُ مباشرة على الشاشة التي ما زالت نوافذها مشرعة.

«في البداية لم آبه به.. لكن صوته الذي ظل يتمدد في ذاكرة الأحلام.. ورائحته التي تمتطي صهوة الليالي الغافية، فتحيل اليقظة إلى معركة أنا الرافع فيها راية البياض أبداً.. جعلاني معلقاً بأفق ارتسم بلون الشفق على حافة الحلم!!»

ثم قام إلى الجهاز، فأوصد النوافذ.. وتوارى في غياهب الصمت..

***

كنت أرقبه وهو يمعن في حلمه كثيراً، نومه الذي يبدو فيه أنيقاً وأحياناً فاتناً!!..

قراءاته الموغلة في شاعرية تفيض فتترك أثراً غامضاً على تصرفاته.. وجلساته الطويلة للتحدث عبر (الماسنجر)، في كل هذا لم يكن يثير عجبي سوى شيء واحد:

«لم أمتهن الصمت؟»

***

في الليالي الطويلة، وحينما يعلن الملل سيطرته التامة عليّ كنت أمني نفسي بأن يستأنف يوماً ما حديثه، أردت أن أستشف ملامح حلمه من بين ثنايا كلماته..

لكنه ما تكلم قط..

أخذ الحاجز الذي وجد بيننا، ينمو.. يتضخم.. حتى غدا ورماً يملأ كل المنافذ، أصبحت محشوراً في زاوية ضيقة من الوجود، طوق حول عنقي أخذ يتقلص باطراد.. وأنا بلا أفق أرنو إليه..

***

السنون التي استوطنتنا معاً، علمتني أنا أيضاً كيف أحترف الصمت.. لم أعد أتحدث..

وكنت أحياناً أنسى كلمات تلوح دوماً على أطراف شفاهنا.. أصبحت ألتهم كتباً لم أتوقع يوماً أني سأقرأ عناوينها، فالجرائد التي أصبحت تطبع بنفس الدموية، وانزواؤه الطويل أمام شاشة الجهاز مناجياً حلمه – الذي تأكدت أنه يقبع خلف جدار ما – كلها علمتني كيف أصمت.. وكيف أقرأ.. وكيف أمضي الوقت داخل الحمام دون أن أغني فيه!!

***

شيء آخر قد يكون أكثر إثارة لولا هذا الحلم.. تساؤلاتي التي كانت تبحر بلا مرسى، لم تتوقف يوماً:

«كيف يعرف صوت (حلمه).. ورائحته.. و(الحلم) تائه في الغياب؟!!»

الأسئلة كانت تنحسر.. ثم نعود لترتطم عنيفاً بالداخل.. وبلا صوت أيضاً..

***

محاولتي للخروج من رحم الصمت.. أنتجت مولوداً كسيحاً..

الإحساس بالعزلة قد مد جذوره في العمق، فلم يعد لأي شيء وقع على روحي.

كنت أعود في ساعة متأخرة من عند الأشخاص الذين حشرت نفسي بينهم فأعبر مدخل الشقة على غرفتي، وصوت النقر على لوح المفاتيح يتسلل إلى أسماعي الناعسة.

المرات القليلة التي لا أسمع فيها صوت أصابعه، يعصف بي الأرق.. غداً الصوت الرتيب، أغنيتي التي أنام على هدهداتها.

خلال نوبات الأرق، كنت أتمنى لو أذهب إليه لأخبره بأني مستعد لدفع مبلغ الاشتراك لـ(حلمه) كي يعود للثرثرة معه.

وفي مرات أخرى، أكاد أطلب منه رقم هاتف (الحلم) كي أتصل به وأوقظه، فأتذكر

أنني لم أره ولو لمرة واحده.. ممسكاً بسماعة الهاتف، فأستبعد إمكانية الاتصال به خارج العالم الشبكي المجنون..

ذات أرق.. وقد توقفت أصابعه عن العزف.. قررت أن أحاصر حصونه.. وأجتازها إلى داخله..

أقسمت على نفسي أن أدفعه للحديث.. الأسئلة التي سأجتاحه بها، أصبحت ماثلة أمامي.. وسأدفعه على أن يوقع معاهدة (بوح) بيني وبينه..

طيلة اجتيازي للممر القصير الذي يفصل بين غرفتي وغرفة المعيشة التي يمضى لياليه فيها متناهياً على عالم مختلف.. كانت الأسئلة العنيفة تحدث دوياً مفزعاً.. سرعان ما تهاوت مثل قشور هشة حينما ألفيت المكان خاوياً.. تماماً..

صامتاً.. أكثر من أي وقت مضى.. صاحبي لملم بقاياه باتجاه الرحيل.. ربما علم بالغارة التي نويتها عليه، أو ربما ذهب لملاقاة حلمه في مكان وزمان آخر..

كل شيء دل على أنه لن يعود.. الحلم الذي أردت أن أرتاده معه تلاشى بغيابه.

صوت تهادى من الداخل:

«قد تجد النافذة التي هرب منها»..

جلست أمام الزجاجة السحرية.. بوقار لم أعهده فيّ من قبل..

وباحترام لا متناهٍ، تأملت قائمة الموجودين بـ(الماسنجر).. لم تكن تحوي غير اسم واحد، ربما أحسست بشيء في داخلي يضحك:

«لقد توصلت إلى حلمه أخيراً..»

كان الاسم الموجود (متصلاً)، هذه المرة لم أشعر بشيء يضحك..

بل أحسست بتكتكات مطر..

يتسلل إلى الأخاديد القاحلة فيغمرها بالزهر..

كان شعوراً أخضر.. عطراً..

بيد منتشية حركت المؤشر نحو الاسم.. الحلم..

نقرت عليه برقة.. استجمعت كل العبارات الناعمة التي قرأتها في روايات غابرة..

أصلحت جلستي.. وتنحنحت..!!

«صباح الورد»

كتبتها، وثمة شعور سماوي يحتويني، وقبل أن أرسلها، راجعتها أكثر من مرة..
أردت أن أرفق صورة لـ.. وردة معها، لكني تراجعت مفضلاً الاحتفاظ بقدر من الرزانة.
أغمضت عيني ببطء.. وسحبت من داخلي.. نفساً عميقاً.. و.. أرسلتها..
قبل أن أمنح عيني الضياء مرة أخرى.. سمعت نغمة الرد.. بوقت أسرع مما توقعت..
رسالة صغيرة برزت في ركن الشاشة:
«صباح الورد..»
ثم نافذة أخرى تُشرع..
من الوهلة الأولى أدركت..
الرسالة عادت إليّ.. والاسم (الحلم).. يفتح نوافذ أخرى على نفس الشاشة..
لم يكن هناك متلق خلف أي أفق..
أما الأسئلة التي عصفت بي في وقت سابق من الليل..
فقد ذبلت في قبضة الفجر، والحلم الراحل!!

## ظل حيادي

### 8

سؤال حملته يمامة عابرة :

أتعود؟

ونصل ينغرس في خاصرة الضوء:

كيف أعود.. والمكان محاصر بالزمان القديم؟

وطن يبتعد..

# ٩

من بين ثنايا الوداع، ورائحة العيد.. انسابت دعوات تكلله بالحب، قبّل رأسها، وهمس لها: بأن تعطره بالأمنيات الجميلة كل ليلة، حتى يعود مع خيوط شمس العام القادم إليها .

حمل أمتعته نحو الباب البعيد، طعم العيد الساكن في أعماقه، ظل يلح عليه بالبقاء، يثير داخله معنى (الوطن)، وأهازيج عتيقة .

أحلام ليلة البارحة، ما زالت تتراقص أمامه كدمى صغيرة، تنشد أناشيد طفولة غابرة.

وأصبح خارج الباب، والرحيل يلتقطه بأصابع شرسة.. باتجاه السفر:

- كم كانت الأحلام غبية ساذجة.. يوماً مضى..

ثم تعود أصوات البحارة تملأ نفسه المتعبة، والسيارة تلتهم الطريق الأسود الطويل.

***

قبل أن يبتلعه الأنبوب الممر إلى الطائرة، أتاه صوت حنون عبر الأثير:

- سأعود يا أبي.. انتظرني قريباً.. ستشير إليّ في المجالس، قائلاً:

هذا ابني.. تاج رأسي.. لا شيء غير دعواتك..

ثم انقطعت آخر الخيوط التي تربطه بالأرض.

لا يعلم لمَ تراءى له (خرطوم) الطائرة، كأفعى بشعة، تلوك كل الأشياء الرائعة.. فتدعها مجرد حطام مشوه.. بدت له هذه الأفعى بلا آخر، تسير به إلى نقطة حالكة في آخر الدرب..

عندما وصل إلى باب الطائرة، طالعه وجه مألوف، ابتسم له ابتسامة بلهاء، وأشار له إلى مقعد يقبع في نهاية الطائرة، ضحك ساخراً:

«النهايات مصيري دائماً..»

ثم جرّ نفسه للمكان النائي..

تهاوى إلى المقعد، مريحاً الهواجس التي ما فتئت تعيث في رأسه ألماً منذ الصباح، ثم دفن وجهه في النافذة الصغيرة.. مغترفاً أكبر كمية من الوطن قبل الرحيل.

الصمت كان حديث المسافرين، عدا همهمات خافتة، تتسرب من زوايا نائية..

تحركت الطائرة ببطء..

مبتعدة عن المبنى الضخم.. وعن أحلام البارحة..

على حقيبة صغيرة بين قدميه، انحنى؛ ليخرج منها دفتراً صغيراً توارى بين طيات الملابس، ثم أطلق سراح الطاولة المقيدة أمامه، متجاهلاً السأم الذي يشيعه المضيف.. وهو يقرأ التعليمات المملة.

***

7 / شوال:

وأغادرك سيدتي الجميلة.. مع مطلع شمس لا أعلم.. أتغيب.. أم أسبقها للغياب..

وأذوب في الأفق البعيد.

سأحدثك يا أرضي بحكاية طويلة.. بدأت ذات ليلة، كحلم في طور التكوين..

أبيض.. دافئ.. جميل، بعينين مغمضتين.. تخبئ داخلها فراشات ملونة..

وعصافير صغيرة...

أجزم أنه كان رائعاً.. تعهدته بالرعاية.. كنت أرقب نموه.. وأنتظر

اللحظة التي أعلن فيها عنه:

«ورقة ملفوفة بشريط شفاف ناعم.. معطف مخملي.. قبعة تخرج.. وبسمات تغمرني

من كل اتجاه بوهج لا نهائي»..

كانت أمنية تتلألأ في سمائي.. كنجمة متفردة. تكسوني برضا وأمان..

وتهدهدني على أغنياتها الهامسة حتى أنام..

كبر الحلم.. والمساءات لم تعد تسعه.. أصبح فتى ثائراً.. كثير التمرد..

مزق ملابس الوداعة السابقة.. وأعلن التحدي!!

حملت حلمي إلى والدي.. وأخبرته أنه أمسى يقلقني.. وما عاد ذلك الطفل الوديع الموغل في الرقة..

أريد أن أدرس..

وبابتسامته أجابني:

وما الذي يمنعك؟

كدت أسحب حلمي.. أتقهقر به إلى العدم.. لولا جموحه المجنون:

سكت.. وغيبني الباب خلفه..

في يوم إجازته، استدعاني إلى مكتبه، غلفت حلمي بوجل، خوفاً من أن يتهشم أو يقتل.. جلست وفي قلبي ألف أمل ورجاء:

ستسافر إلى هناك..

وكان تحقيق الحلم..!

اليوم أسافر يا وطني إلى هناك للمرة الألف.. بحلم لم يعد ذاك الحلم القديم.. غدا مرعباً مخيفاً.. اليوم أغادر يا وطني.. وفي روحي آلاف الندوب.. والنافذة تقف كحاجب شرس على بابك.. فتمنعني عنك..

واليوم سأجثو عند قدميك يا وطني.. طالباً العفو عن أحلام أخذتني عنك بعيداً.. وطني..

وللجرح أوطان أحملها أينما اتجه بي السفر!!

***

حطت الطائرة على الأرض الصلبة، الأجساد التي أنهكها طول الجلوس، أصبحت تتململ في أماكنها بكسل، أزاح النوم عن عينيه بكسل وسرب إليه الثلج

المتراكم خلف النافذة، سرّب إليه قشعريرة هزته بعنف..
نفضت المقاعد عن قاطنيها بعد أن أعلن القائد الإذن بالنزول، متمنياً للجميع طيب الإقامة..
السلم الهابط إلى أرض المدرج، أعطاه شعوراً بالسقوط..
والبرودة التي أنشبت أظفارها فيه، فجّرت ينابيع الحنين لوطن ولّى ولن يعود..
الوجوه المتناثرة في جنبات المطار، ما عادت تغريه..
ولوحات الحضارات المتداخلة تحولت لخطوط بشعة.. متنافرة.
اتجه للباب الزجاجي، تلاشت الأصوات عدا وقع أقدامه وصرير عجلات حقيبته
يهرب للخارج، فيستقبله تيار هواء قارس، يغرز في جسمه دبابيس حادة مؤلمة.

***

١٥ / شوال:
وصلت إلى مكان كان ذات عمر.. أمنية خضراء.. وغدا الآن قاحلاً.. يشبع الوحدة داخلي..
البحر ما زال يرشيني بدفئه لأعود..
والشمس.. تترنم بترانيم الضوء
وأنا هنا..
أبعد من وطن.. ولا وميض في العتمة..
أتذكرين ذاك الحلم القديم الذي حدثتك عنه..؟
لقد تسرب من بين يديّ إلى الماضي
لم يبق منه إلا طيف يؤلمني..
غداً سأذهب للجامعة، وسأعود لممارسة عاداتي السيئة:
سأضحك مع من أكره.. وأماشي من أستثقل.. وأتناول وجبتي مع من أجهل..
كم غدت الأيام كئيبة يا وطني!!
أريد أن أعود على جناح من ضوء..
أفتغفر لابن عاق..؟!!

***

الغرفه تضيق، والقيد يغوص في اللحم يفتك بالعروق الذابلة..
ويعبره اليوم الثالث وهو في مكانه، معصوب العينين، متناهية إلى سمعه أصوات يألفها.. وتحمل لغة كلغته:
- وجدنا (ألف)..
- وغيرها..
- بطاقة البنك..
ثم تبتعد الأصوات الوعرة.. وتتركه وحيداً على من خوفه..
كل آماله تداعت، ولم يعد يرغب سوى بجناحين يحملانه إلى حيث وطن من أزل مهاجر.
أن يغمس قدميه الحافيتين في رمله الدافئ..
ينسج من خيوط شمسه أصدقاء من ذهب..
ويصدح بأغنيات الطفولة على الساحل الطويل..
ثم يعود ليلتقط ما قذف المد من بقايا ألحانه.. على الشاطئ..
أراد أن يحطم القيد.. أن يفسح الفضاء لصرخته مكاناً.. لكن الصوت ارتد للداخل سكيناً تمزق ما تبقى من أمنيات..
عادت الأصوات تقهقه بنتن مقزز.. وتعربد ببقايا الرجاءات..
أحس بحبل يلتف حول عنقه، ظنّ أن وحشة المكان امتد تأثيرها إلى عقله..
الحبل يشتد..
الأنفاس تتباطأ.
تتثاقل..
صرخة مكتومة..
ووطن هناك.. يبتعد.. يبتعد.. ليهوي في لجة سحيقة، يصعد من أغوارها عويل أم..

## ظل حيادي

### ٩

على عتبات الليل أصعد..
وعلى جدران المنفى أكتب ما تبقى لي من حرف..
أما الصراخ.. فلم أعد أتقنه..
صمتت كل الأصوات، وسرت إليّ العدوى!

# قارب الميدوز

* قارب الميدوز: سفينة فرنسية غرقت تجاه شواطئ إفريقيا، في طريقها إلى السنغال، واحتشد على أحد القوارب الصغيرة ١٤٩ من الناجين ودامت محنتهم ١٢ يوماً، بقي منهم على قيد الحياة ١٥ راكباً، أما الآخرون فقد طرحوا في البحر، أو افترسهم رفاقهم.

# 10

صوت أخير:

هنا التاريخ يتكوّن من جديد..

يرسم للبدايات.. نهاياتٍ غائمة..

ويبعثر الأحلام في جيوبِ الزمن..

الطرق لم تعد تفضي إلى روما..

وهدير الجماهير هجر المدرّج الكبير، تاركاً له الصمت، وريحاً تعوي في أروقته..

في عمق هذا (الأطلسي)، تستقر أوديسة محفوظة بالملح والظلمة، لا أحد غير هذا الماء.. والشمس التي تشتعل على وجهه، يذكر الحكاية..

وأنا المدجج بتفاصيل لم تبرح أماكنها الأمامية في مقاعد الذاكرة..

منذ ستين عاماً، والبواخر لا تعبر هذا الشاطئ..

تطلّ بأشرعتها من الأفق البعيد، ثم تغيب في ضباب كثيف..

ومنذ ستين سنة، وأنا أنتظر الرجوع..

و (جَنَوى).. لا تعود..

تحاصرني برائحة بحرها، بمينائها القدر.. بصناديق تستقر على ظهور مراكبها وتغادر إلى أراضٍ بعيدة.. وبلدان تصنع الموت..

(كرستيان) يغني بصوته الأجش، وما حولي سوى مساحة زرقاء كالمستحيل، تتكسر

على أقدام الصخر..
يصرخ بي القبطان أن أربط الأمتعة وأحملها إلى السفن، رغم غرقها..
ونسوة كثيرات يلوّحن بمناديلهن، والمسافرون ليسوا إلا نوارس تملأ الفضاء بالصخب..
ما من أحد هنا سواي يا (مانويلا).. في الأرض الموعودة.. أرض الأحلام.. أنتِ التي أوصلتِني، ثم تركتِني نهباً للشوارع الخلفية الحقيرة، وللغربة..
كل الذين تبقوا، تلقفتهم الحياة.. مبقية لي فتاتهم لأقتات عليه..
بالأمس ذهبتُ إلى (فيلبو)، صديقنا الذي أعطيتِه كسرة الخبز خاصتك، رغم الجوع والموت اللذيْن كانا يتربصان بكِ.. - بالمناسبة، أصبح اسمه (فيلب) بعد أن امتلك نصيباً كبيراً من أسهم شركة لتأجير اليخوت - كان لطيفاً معي، لكن يبدو أني ساهمت في تعطيل بعض مصالحه، فآثرتُ أن أخرج أثناء مخابرة كان يجريها بواسطة هاتفه الذي لم يهدأ..
سمعتُ أيضاً أن (ماسيمو غوستيني) قد قام ببطولة فيلم جديد، ودور السينما ما فتئت تعرض فيلمه السابق باستمرار، ما زال يحتفظ بوسامته.. ويكتبون كثيراً عن قفشاته، رغم ذلك تبدو لي باهتة ليست كالتي كان يقولها ونحن في بحر الظلمات..
لا أذكر أسماء الثلاثة الباقين.. وما أظنكِ تأبهين..

***

**صوت محايد :**

أخذ الليل يقتحم الأكواخ بالبرد القارس.. والمواقد لم تعد تبث الدفء.. ظل شاحباً وحيداً، يعبر الطريق، ويتلمس الجدران المنهكة.. ثم يختفي وراء زاوية بعيدة..
مانويلا؟! عدت مبكراً..
تسللتُ من البابَ الخلفي على حين غفلة من الحارس.. كيف هي الأخبار القادمة من روما؟
«أيها الشعب الإيطالي العظيم.. إن تاريخ إيطاليا يتوقف عليكم الآن.. أنتم الذين ستعيدون مجد روما»..

قالها ساخراً، ومقلداً صوت المذيع الذي سمعه من مذياع معلق في حانة الميناء.. وأردف:
فليذهب مجد روما، وليبق مجد اليوفي (١)!
تجنيد إجباري؟!!
سيجندون الذين يعنيهم مجد روما..!
وأنت؟
أنا أشجع اليوفنتوس !

المدينة الغافية على حافة البحر، استيقظت فجأة؛ لتمتلئ مصانعها بعاملات صغيرات مكرّسات للموت، وتتكدس السفن بالأسلحة، بأوهام النصر، بأحلام الصغار، وصلوات الأمهات، بمجرمين فاضت السجون بهم، فألفوا أنفسهم جنوداً يحمون الوطن.. ثم تمخر الماء باتجاه ثقب أسود يستوطن الأفق..

غدا الميناء محطة لمسافرين يغادرونه ثم لا يعودون أبداً !

وحده (فرانشيسكو) الذي لم يقف بعد في الميناء ليودع أحداً، أو ليحمله أحد المراكب إلى أرض مجهولة.. وأعداء لم يقررهم هو..

هيه مانويلا..! قلتِ إنكِ لم تجدي فحماً إذن؟ ربما أخذوه إلى برلين.. سيحتاج إليه هتلر ليعيد لهم أمجاد روما.. أما شعب روما فيمكنهم أن يفركوا أيديهم قليلاً، ويناموا بعاطفهم.. وأن يغلقوا نوافذهم جيداً.. ليحصلوا على الدفء.. وعلى أحلام لا تكلفهم كثيراً من التحسر!.. نامي مانويلا.. نامي يا ابنتي، سنقضي ليلةً أخرى في بطن الوحش. نسيت! دانيال أخبرني عن شاب يعمل في الميناء، قدِم من نابولي الشهر الماضي.. يدّعي أنه أفضل من يطبخ المكرونة! أخيراً سأتذوق الاسبغاتي..!

***

الشمس الواهنة، غمرت الطرق بغبش من نور خفيف.. والضباب ما غادر المرافئ بعد.. لم ينم الميناء منذ أن رست الباخرة الضخمة بـ.. حذاء الجرف.. أوامر القباطنة، القصيرة والحادة، استنفرت جميع الموجودين، عدا عامل انتبذ مكاناً قصياً، متسلياً بتقليم عصا خشبية بنصل صغير..

أنطونيو !

سقط النصل من يده، على أثر الصوت الأجش الذي ناداه..
أوه!.. كرستيان! كنتُ أنتظر من يساعدني في حمل الصندوق، يبدو أن السماء أرسلتك !
شيء من دفء، سربته الخيوط الواهية التي أفلتت من قبضة السحاب المركوم، فارتفع صوت كرستيان مغنياً..
هيه كرستيان! صوتك سيتسبب في فصلنا !!
لِمَ لا يتسبب في ترقيتك؟!
لأن القيادة ستظن أنها مروحية للحلفاء.. !
ثلاث سنوات، وثمة حلم تنهش من أطرافه، الحرب..
في كل يوم، يذوي أمل في قلب ما.. بينما يشي الأفق بسواد حالك..
وهج يخفت.. وطيور تغادر باتجاه اللاعودة..
في المساء.. امتصت الدروب العمال المنهوكين بالسهر والأمنيات المبتورة، بعد أن توارت الباخرة في الحجاب؛ فخوى الميناء إلا قليلاً.

***

**صوت محفوف بالتيه :**

الساعة التي احتوت رحيله، كانت تحمل العدد صفر..
أيامي التي قبلها.. تُحسب بالموجب، وما بعد سفره.. تحمل الإشارة السالبة..
كل الذين رحل بعدهم، لم يجدهم ساعي البريد ليحمل إليهم أمنيات الأبناء، وأشواق الزوجات.. لذا أعلنتُ الحداد عليه مذ تلاشت النفثة الأخيرة لمدخنة القطار..
فجأة وجدتُ نفسي في التيه.. على شفا ضياع.. وبلا أبي !
كل الشوارع حملت ذات العلامات، وكل الوجوه لبست نفس الملامح..
بعد استدعائه للتجنيد، باع كل شيء يخصه، وسلمني الثمن..
ستساعدك.. يا مانويلا..
ما عدا قميص اليوفنتوس..
ثمة أشياء تستحق البقاء يا أبي.. اتركه لي..

في محطة القطار، كان يضحك بصوتٍ عالٍ، ليكتم بكاءً تفجر داخله..
هيه مانويلا.. في الوقت متسع للضحك.. والحياة ما زالت تكفي للغناء.. والرقص أيضاً!
أخبري أنطونيو أن يجهز الإسبغاتي لي؛ لأني سأعود قريباً..
بعد الصافرة الثالثة للقطار، ماجت في عينيّ الصور.. لم أعد أرى إلا أطيافاً هلامية..
وما عدت أسمع إلا أصوات عويل.. ونشيجاً بعيداً..
لا أذكر كم من العمر مضى، لكن يبدو أن زمناً طويلاً اجتازني قبل أن ينبهني عامل صغير إلى أن وقت إغلاق المحطة قد أزِف..
برد ديسمبر، وكتلة السديم الهائلة اللذان اعترضا خروجي من المحطة، أخطراني بأن عليّ أن أبحث عن أفق جديد أعتمده مشرقاً لشمسي المُنهكة..

***

احتفظت بالرسائل التي شرعت بكتابتها لأبي كل فجر، في كيس قماشيّ، لم أكن أعلم كم عددها، كنتُ أتحاشى الزمن والتاريخ.. وأنام دون أن أنتظر الغد المفرغ من الآمال..
مئتين وثلاثون رسالة!! من سيحملها إلى فرانشيسكو يا مانويلا؟!!
لا أحد..
إذن لم تحتفظين بها؟
قد يعَود يوماً.. فيجدها..
كنتُ موقنة أنه لن يعود، رغم أن أنطونيو يحاول منحي قليلاً من شمس في ظلمتي المستعرة، برواية قصص عن سفن رست بالميناء مؤخراً، محمّلة بآلاف الجنود الذين عادوا، كنت أعلم أنه يختلقها.. وأن ما من سفن في الميناء، سوى تلك المغادِرَة.. أما السفن القادمة، فلم تكن تأتي أبداً..
مانويلا.. سيأتي.. أنا متأكد من ذلك.. ستنتهي الحرب قريباً، هكذا سمعتُ اليوم..
فرانشيسكو يحب الحياة، ويحبك.. وحتى لو لم يكن يحبك.. فهو لن يموت؛ لأن اليوفي يتصدر فرق الدوري.. صلّي من أجل بقائه.. ولا تبكِي.. أرجوكِ لا تفعلي ذلك..! وبمناسبة ربحي خمسة سنتات إضافية اليوم، سأشتري لحماً؛ لأطبخ (لازانيا)..

سنعيش إحساس المترفين اليوم..!
ابتسمتُ دون أن أدرك تماماً ما الذي يقوله .

***

**شاهد عيان :**
الطرق مكسوة بالجوع ، بمستنقعات موبوءة، وبأطفال لفظتهم الأكواخ التعيسة..
في الصحاري الإفريقية البعيدة، تتبخر أمنيات العودة..
ومحطات القطار، والموانئ امتلأت بأوهام اللقاء..
أنطونيو.. ابحث لي عن أرضٍ أخف قسوة من هذه!.. لم تعد إيطاليا وطناً..!
الأرض أضيق من أن نجد وطناً جديداً..
دعنا نحلم بأن ثمة مكاناً سيحتوينا، بأن ثمة زمناً ملوناً.. أن «في الوقت متسعاً للضحك..
والحياة ما زالت تكفي للغناء.. والرقص أيضاً»..
مانويلا.. الأحلام غدت ترفاً ينبغي لنا ألا نمارسه!!
أمريكا.. ستكون أبعد من أن تلحقنا آلامنا إلى هناك..
الهجرات التي توارت في بطون السفن، أخذت تمخر عباب الأطلسي، محفوفة بالموت.. وبالرجاءات الواهية بالخلاص..
خمسون ليرة، ونحملك إلى خارج المتوسط..
و بعد (المتوسط)؟
ثلاث مئة ليرة إضافية للوصول إلى سواحل أمريكا..

***

باعت الكوخ بما فيه، وأشياءها الصغيرة.. لم تبقِ سوى القميص، والكيس المملوء بالرسائل التي خذلها ساعي البريد..
كتبت رسالة أخيرة :
«أبي..
هاهو العمر يتركني في المهب.. نهباً لليباب.. وللأراضي البور..

أعدك بأني لن أهرب بعيداً، سأبحث عن وطن للضوء.. وكفى..
فرانشيسكو مانويلا، زمن المنفى..».
ورمتها في الكيس بلا تأريخ..
خُيّل إليها أنها سمعت بكاءً لا يشبه سوى فرانشيسكو، أطرَقَت.. ثم امتطت طريقاً إلى الميناء..
الهواء كان ساكناً، والليل تعرّى من نوره، مجموعة تصل إلى العشرين، كلهم يبحثون عن مرفأ لأعمارهم المخذولة.. لم تستطع أن تتبيّن ملامحهم، لكن بدا لها أنّ لا امرأة سواها..
سنتنكر أولاً بلباس الصيادين..
لوهلة، امتلأ جوفها بالفراغ.. شعرت بأنها على سلم، لم تدر ما نهايته، وما كانت بدايته واضحة، كانت معلقة بالهواء، وتحتها هاوية من سواد دامس..
مانويلا..
أتى صوت أنطونيو ليرتب الأفكار التي بعثرتها الريح.. وليمنحها قلباً مطمئناً، ولو إلى حين..
على مقربة من القوارب الأربعة التي رست على شاطئ بعيد عن الميناء، وقف رجل طويل، بملامح غامضة، وعينين حادتين، بدا وكأنه قائد للفرقة التي ستتولى القيادة: سيستقل كل خمسة منكم قارباً.. وسننطلق قبل أن يطلع علينا الفجر.. يجب أن تدركوا أن السلطات لن تسمح لنا بتجاوز المياه الإقليمية إن وجدتنا، وقد نتعرض للمساءلة والسجن..
أخذ الخوف يبني حجراته في القلب، استعداداً لإقامة طويلة بها..
إن سارت الأمور كما نحب، فسنصل مضيق جبل طارق في أسبوعين.. وأرجو ألا يعترض طريقنا عارض.. اركبوا.. وليباركنا الرب..

***

خمسون يوماً مضت، منذ أن وجدوا من ينقذ أحلامهم التي تُركت بمواجهة مع الموت على ساحل إسباني ناء، ليودعها عمق مفازة الماء تلك..!
تكدس القبو الرطب للسفينة الضخمة بمئات المهاجرين الإسبانيين والبرتغاليين..

والضوء يضمر شيئاً فشيئاً، حتى يتلاشى..

أحد القوارب الأربعة التي غادرت جنوى، وقعت في مصيدة خفر السواحل، لتتابع الثلاثة الباقية طريقها غرباً..

شهر إلا قليلاً، ومضيق جبل طارق لا يظهر..

طيور الماء تقلصت أجنحتها؛ فما عادت السماء تحويها..

و (المتوسط) بدا بحراً أبدياً بلا نهاية..

أنطونيو.. أشعر بغضب أبي..

عادت النوارس للتحليق بعد لأي، وظهرت أطراف لأرض بعيدة..

صرخ ذو العينين الحادتين :

ها قد أذعن لنا المضيق !

في عنق (طارق).. ثمة قلق اجتاح العينين الحادتين :

جوزيف.. أكانت البواخر الإنجليزية موجودة في رحلتك السابقة؟

وغمز بعينه..

لا يا سيدي.. كان المضيق خالياً تماماً..!

اختفت النوارس، ونأت أطراف الأرض البعيدة!!

أنطونيو.. أبي يبكي !!

***

أصوات لانفجارات تأتي من فوقهم، ومن أسفل منهم، والقبو أبعد من أن يصله خبر..

سكون أشبه بالموت، اختلط برائحة العرق.. البول.. وجثث متعفنة..

المكان لا ينبئ بالوقت، والزمن غدا سرمداً لا مخرج منه..

ساعة.. ساعتان.. أكثر.. والسفينة ترتج في

مكانها.. موقدة مراجل للفزع في الصدور المتعبة..

على الطرف الآخر للقبو، ثمة بكاء خافت.. حيث أبوان

إسبانيان صغيران.. ورضيع ما جاوز عمره الأيام..

أصوات ابتهالات متصلة.. ونشيج متقطع.. ثم صرخ الأب :

لقد ماااااااات !!!
وهدأت السفينة !

***

في نقطة غائبة في المحيط، رُميت الأجساد التي ملأت القبو برائحة اللحم المتفسخ، وبقيت عشرات قليلة من المئات الذين غادروا إسبانيا أول مرة..
انطفأ الضوء في الأعين.. وفقد الجميع اللغة التي اخترعوها للاتصال فيما بينهم..
الموت يمر.. ببطء..
الاحتضار.. أبدي.. والجوع يفترس البقية بوحشية..
تسلل خيط نور من الباب الصغير الذي فُتِح :
يقول لكم القبطان إننا سنصل ميامي الليلة.. فاستعدوا..
ثم عادت الظلمة تطبق على المكان..
مانويلا.. مانويلا.. استيقظي.. الحلم يغادر باتجاه الحقيقة.. مانويلاااا.. مانويلا !!

***

صوت أخير.. قد يبدو مكرراً:
فعلتُ ما وصيتني به، دفنتُ قميص (اليوفي) في قبر يجاور قبرك.
وأودعت الرسائل في قوارير تركتها للموج يحملها إلى (فرانشيسكو)..
أضفتُ رسالة من عندي، ولتغفري لي.. أخبرتُه فيها أن اليوفينتوس ما زال عظيماً كما كان، لقد حصل على الأسكيدتو (٢) ست وعشرين مرة..
وقابل الميلان في العام الماضي على نهائي الشامبيونز ليغ (٣)، بيْد أنه خسر، كنتُ سأكتب له أنه ربما خسر لغياب ندفيد، لكني خشيتُ ألا يعرفه..
لم أكتب له عن الحرب ولا عن إيطاليا بعدها، كل ما قلته :
«لقد قتل الإيطاليون موسوليني، فرانشيسكو.. أعتذر لأني لم أكن منهم..».
مانويلا.. المكان موحش..
أفتقدك..

## ظل حيادي

### 10

لا توقظوه..

فالمكان مكدس بالجدران،، التي ضاقت بها ذاكرته..

لا توقظوه..

حلمه مات على طريق الجنوب..

لا توقظوه..

بيروت وُعِدت بالسواد.. وشجرة أرز مجروحة..

# جدران صفراء.. قذرة

# 11

تناهى إلى سمعي بكاؤها.. وأنا خارج. أغلقت الباب بقوة، وهبطت الدرجات مسرعاً، محاولاً دفن صوتها في اللاشعور.

ركبت السيارة وبقيت على المقعد.. لمدة، دون أن أشغلها،ثم أرخيت رأسي على المقود..

كان صوتها يتردد داخلي، كنت أحاول تجاهله دون جدوى.. فقد أحكم على الحصار..

- ليس ذنبي إن كنت لا أحبك..

لم ترد حينها، لم تبك، ولم تتحرك. فقط.. تجمدت في مكانها، دون أن يرتسم على وجهها أي تعبير.

تمنيت لو أني لم أقلها، وخرجت مسرعاً حتى لا أعذب نفسي برؤيتها..

في غمرة الإحباط الذي يكتنفني، أتى رنين الجوال ليردني إلى واقعي. لم يكن بي رغبة.. ولا حتى لرؤية من المتصل.

استمر الرنين.. وكأنه يجبرني على الرد:

- لا.. لم أنس.. لكن قد أتأخر وقد لا آتي البتة!!

شغلت السيارة، ثم تحركت ببطء، ورفعت رأسي لأرى نافذة الغرفة. أحسست أنها ما زالت تبكي، أدرت المقود ومشيت.. دون أن أحدد هدفاً.

ليتك تعلم ما الذي فعلته، هي لا تستحقني، وأنا لا أستحقها، نحن كماء وزيت.. جُمِعْنَا في إناء واحد.. دون أن نختلط.

قدت سيارتي إلى خارج المدينة، كنت بحاجة ماسة إلى الهدوء، أردت أن تكون الليلة ليلة اتخاذ قرار.. سأتخذ قراري الذي يحدد المصير البائس..

سيارات شرطة، لم أعبأ بها، كانت تقترب.

وقفت إحداها أمامي.. أبرزتُ بطاقتي..

تنتحل شخصيات أناس؟

عندما وصلنا المركز.. رمي بي رمياً في التوقيف.

أدرت بصري، كان كل ما حولي كئيباً.. جدران صفراء قذرة.. خُطَّ عليها كلام كثير بخطوط مُشَوّهة.. وجوه كالحة، وأعين غائرة.

اتخذت الزاوية البعيدة، وضعت رأسي على ركبتي.

عاد بكاؤها إلى خاطري مرة أخرى. كان يستفزني بقوة. أحسست بمزيج من الشفقة والكراهية، كنت أعتقد أنها سبب البلاء الذي أنا فيه، ثم أعود وأقول: أنا الذي ظلمتها.

- أيها الصغير.. لم تعطك أمك وجبتك هذه الليلة!!

وزلزل المكان بضحكات هستيرية..

لم ألق بالاً، تجاهلته تماماً.

كان الليل يزحف ببطء، كل ثانية تعني لي ألف سنة. الجدران الصفراء تقترب وتقترب.. حتى خنقتني. صرخت بقوة، ثم فقدت وعيي.

(٢)

فتحت عينيّ ببطء. كنت أحس بضعف عام، فلم أتبين ما حولي..

لكني استطعت أن أميز، أني خرجت من ذاك المكان الكئيب.

حسناً.. يبدو أنك بدأت تستعيد قوتك..

ولكن لا تبذل أي مجهود حالياً.. لقد كتبت تقريراً..

وطلبت منهم ألاّ يحققوا معك، حتى تصبح بصحة كاملة.

أي تحقيق؟!.. ماذا فعلت حتى يحقق معي؟!

اهدأ الآن.. يجب أن تخلد للراحة تماماً.. حتى تستعيد كامل عافيتك.
خرج تاركاً الحيرة أنيسي، في هذا السكون الموحش..
(ليس هناك أي شيء غريب في هذه الدنيا.. لا تستغرب..
إن وجدت نفسك ذات صباح، في سجن دون أن تعلم ما السبب!!)
خالد.. أكنت تقرأ مستقبلي؟! لن أستغرب من شيء، بعد أن تحققت كلمتك..
بعد ثماني سنوات.
كم هو الزمن الذي يفصلني عنك؟ كم هي المسافات التي تحول بيني وبينك؟
ما الذي قفز بك إلى ذاكرتي.. في هذا الوقت بالذات؟
ما الذي نفض الغبار عنك بعد كل هذه السنين؟
أتعمدت أن تعود للضوء، بعد أن كنت مدفوناً دهوراً.. في الظلام، لتزيد ألمي؟
أقصدت أن تظهر كي تذكّرني - وأنا الذي لم أنس - بالفراغ الهائل الذي تركه رحيلك؟
كنت أظنك مقطوعة حزينة، لم يبق سوى صداها يتردد بين حين وحين.. وإذا بك جرح طري ما زال ينزف.. ما زال ينزف.
- يجب أن تتناول إفطارك..
- لا أريده.. احمليه بعيداً..
- الطبيب أصر وبشدة، أن تتناول طعامك..
- لا أريده!!
خَرَجَتْ وقد يئست تماماً من إقناعي.
لم يكن بي شهية للطعام، فقدت كل إحساس بالرغبة في الحياة..
أردت فقط أن أنتهي.
- فعلك هذا سيزيد الأمر سوءاً..
- أبقِيَ سوءٌ بعد هذا؟!.. إذن أريد أن أجربه..
- ساعدني لتخرج من حالة الإحباط هذه..
ثم تذكر.. أنه وحتى الآن، لم تثبت التهمة عليك..
- أي تهمة تتحدث عنها؟ صدقني أنا نفسي لا أعلم ما التهمة الموجهة إليَّ حتى

تثبت.. أو لا تثبت!!

- تناول طعامك لتستعيد عافيتك، وتستطيع دفع التهمة عن نفسك..

- لست طفلاً يا سيدي.. أريد أن أعلم لِمَ أنا هنا؟!

هذا سؤالي..

الذي لم ألق له إجابة. كنت متأكداً، أنه يعتقد أني أدفع الجرم عن نفسي بهذه الطريقة.

(٣)

- والده رفض فكرة الزيارة تماماً.. قال إنه لن يخسر سمعته بسبب خطأ ارتكبه ابنه..

حاولت جاهداً أن أكذِّبَ ما سمعته، أو أن أقتنع أن المعني غيري وغير والدي.. لكن لم يكن هناك أي مجال للتأويل.. أبي المتحدث.. وأنا المعني!!

ها أنت تكرر قتلك لي.. ها أنت مرة أخرى تقدمني قرباناً لتجارتك..!

حسناً.. فلتعتبرني بضاعة نفيسة عندك.. أو لتعاملني كرقم في دفاتر حساباتك العديدة.. علِّي أحظى بقليل من احترامك.

التفت إليَّ الطبيب.. على حين غرة، ولحظ الدموع التي أغرقت وجهي: الله يهديه (أبو الحسن) رفض أن يزور ابنه!!..

لم يكن هناك أي وقت لتصحيح الخطأ.. غرس النصل بقوة في قلبي..

- ليست المرة الأولى.. ليست المرة الأولى..

ثم سحبت الغطاء على وجهي، لأستسلم لبكاء صامت طويل..

منذ متى وأنت تجمع ثروتك على حساب حزني؟ منذ متى وأنت تبني قصورك بدمي؟ منذ متى وأنت ترفع أسهمك بتحطيمي؟!

كنت تحت الغطاء، عندما سمعت صوتها يناديني.. كدت أصرخ:

كُفيّ.. أنت سبب البلاء.. يكفي أن هاجسك لم يفارقني، مذ خرجت من المنزل تلك الليلة المشؤومة.

رفعت الغطاء عن وجهي، ظاناً أن الصوت مجرد خيال.. سيزول، حينما أبصر عالمي الواقعي الكئيب..

- ما الذي أتى بِكَ إلى هنا؟!

ندمت على الذي قلت، عندما رأيت عينيها..

- آسف.. لكني فعلاً، يئست من أي شخص، فضلاً عنكِ..

رأيتُ الباب يُغلق بهدوء..

- إن لم أقف معك أنا.. فمن يقف معك؟

أردت أن أضمها. أن أكمل بكائي بين يديها. أردت أن أعتذر عن كل ما حصل..

أحسست بحب جارف يدفعني لأن أقول.. «سامحيني.. ما كنت سوى جاهل»..

لكني قلت:

صدقيني إني بريء.. صدقيني لم أعمل شيئاً..

بقيت صامتة، تنظر إلى لا شيء.. أحسست أنها تذكرني بليلتنا تلك.. كأنها تقول:

ذق.. جرّب..

كنت أريد أن تقول أي شيء.. لكنها سكتت.

مرّ زمن طويل دون أن تتكلم حتى ضقت منها..

تحدثي.. أرجوك أي شيء.. قولي إني ظلمتك.. قولي إني شقاؤك.. قولي أي شيء..

نظرت إليَّ طويلاً ثم قامت.

كدت أجن، عندما خرجت. بأي حق فعلت هذا؟! كيف تذهب دون أن تريح قلبي المتعب؟!

كنت أريد أن تجمعني من جديد.. أن تلملم أشلائي المنثورة.. لا أن تزيد شتاتي..

أنا الطير الجريح..

أنا المبعثر المحطم..

أنا الراقص على عزف الألم..

أنا الممزق... أسىً..

أطاب لها.. بعد كل هذا، أن تغلق الباب على حطامي وتغيب؟

## ظل حبادي

### ١١

لا أجد الآن غير غصة تقف بيني وبينك، ودمعة أشيح بها عنك حتى لا تراها، منذ سألتني البارحة : لماذا نحن لم يبق لنا في المسافة المتضائلة هذه، غير أصابع نشبكها عل عجل، ووعد تقاسمناه أن نصون في قلوبنا شجرة تقاوم، وندف ثلج تبقت لنا من الشتاء الماضي.. ومدينة تخنق.. لنغادرها.

# شموس أخرى.. تنتظر

# 12

تغتالك المسافات، تمعن في الوحشة، وتمعنين بالهروب..
والباب يلفظك للمرة الأخيرة خارج المبنى.
الأيام الفائتة، ما زالت تموج في الذاكرة المتعبة..
تقتات على بقايا الأحلام، التي كنت تحملينها قبل أن تعبر بك الدوامة إلى الفيافي المجدبة.
قبل أن تتبعثر الأرقام على وجوه الأوراق، فتحيلها إلى أفواه بشعة.. تلتهم العصافير البيضاء.
في يوم أشرق قبل سنتين، كانت العصافير تسكب ألحانها في أسماء الورد، فتشيعها مقاطع عطور لا تذبل، وكنت تَخْطِين خطواتك الأولى إلى (العالم الكبير)، وبيدك نفس الملف الذي تحتوينه بآلامك اليوم. لكنه.. بدا هذه المرة، باهتاً مثل القديمة، تنفض عنها ألوانها.. لتبقى أسيرة لونين فقط..
أتذكرين.. حينما كانت عيناك تلتهمان الأسماء، ويداك تتوهان بين صفحات الجرائد بحثاً عن حروف اسمك؟ ولأن الحرف الأول من اسمك يحتل ذيل القائمة الأبجدية كنت تحتلين السطر الأخير من السطور المتراكمة.. في الوريقات القليلة، وقبل أن تعلني عن خيبة أملك، يطالعك اسمك بحروفه الأربعة، يضحك لكِ، فتكتفين بتنهيدة.. تطلق كل الأمنيات التي حبسها الصيف في الصدر الحرج.
تنغرز كالأشواك الجافة في أذنيك.. أقاويلهم، وتتابعين المسير. في هدأة الليل تقسمين

للقمر إنك أكبر منهم، فيرسل نجماته إليك، لينتزع الأشواك من خاصرة الأحلام.
تمضين إلى القابعة خلف المنضدة الصماء.. تطالع أوراقك، تردد النظر بينك وبين الأرقام المحشورة في المربعات الضيقة، وبجرة قلم، تعلن أنك قد دخلت (أخيراً) العالم الكبير.
جذوة من الحماس تتقد بين جنبيك، رغم الخواء الذي يستوطن المكان، منذ أن ابتلَعَت الطّرق رفيقات الماضي، تسبلين جفنيك على ذكراهن، وتواصلين انتعال الدرب الطويل.
الآن تطوف بك الذكريات في الممرات، حيث زرعتها ذاتُ آمال.. بمذاكرة سريعة قبل المحاضرة.. أو بكتابة هوامش على حواف الأوراق المهترئة.
تدخلك إلى القاعات.. ذات الإضاءة المُحْتضرَة، والجدران المنطفئة.
تجلسك على الطاولة، التي ألفتِ تناول إفطارَك عليها.. مع الصديقات الجديدات.
تحاولين الانسحاب من الذكرى، بينما السيارات تمرّ من أمامك، وأنت بانتظار السيارة التي ستقلك.. ولا تأتي!!
تلح عليك الذكريات مرة أخرى.. تمارس سطوتها بجبروت أقوى، تذكرك بالمنمنمات الصغيرة في التفاصيل الدقيقة للذاكرة..
ببقايا الكلمات التي ما زالت نكهتها حاضرة منذ اليوم الأخير للامتحانات..
الذاكرة تقسو.. تنهال على الروح بومضات لا ترحم..
تمطر عيناك مطراً مالحاً على النفس القاحلة... فتتشقق وجعاً.
- هيه.. أنتِ واقفة هنا.. ماذا تريدين؟
- أريد أن أسَحب ملفي..
- املئي الاستمارة أمامك..
الاسم: هاربة من الدروب الموحشة.
القسم: الإحباطات المتوالية.
الفرقة: الأخيرة.
نفس القلم الذي مشى على أوراقك قبل عامين، وسمح لك بالعبور.. هو الذي أصدر أمر النفي هذه المرة!!
ثمة أسئلة تشاكسك بالداخل.. تتمرد.. وتثور: لِمَ حكمتِ على نفسك بالهروب؟
ألم يكن بإمكانك ترويض الدرب؟

الانسحاب ليس حلاً..!

تقمعينها بدكتاتورية مزيفة.. وتنصبين الصمت حاكماً.

الظهيرة تطبق على الزمن.. بصرك معلق بالأفق البعيد.. ويدك ما زالت تقبض على الملف.. الهواء الساخن ينفذ إلى المسامات.. فيعود التمرد للداخل..

ويعصف الجموح بالذاكرة مرة أخرى.. المنبر الخشبي في القاعة يشمخ من بين الأنقاض.. ترتقيه كل مرة إحداهن.. أصواتهن يرددها الفضاء.. تنصتين ببقايا السمع الذي اغتالته الحرارة اللافحة.. ثم تتهاوى الأصوات.. على وقع السكون..

- أنت يا بنت.. أدخلي..

- أنتظر سيارتي..

- سينادي عليك إن حضر..

- ماتت النداءات يا عمي..

ينظر إليكِ بدهشة، عُقَدٌ تعلو لسانه.. فيتركك للنداءات التي تموت.

***

الملل يعبث برمادك، وأصابعك تعبث بأزرار الهاتف الجوال..

ويدك الأخرى ما زالت تقبض على الملف..

رنين.. يسرّب الحياة لجهازك..

صوت قادم عبر الأثير يعلن حضوره بعد دقائق.

تتأهبين.. تشدين على الملف بقوة أكبر.. شكٌ يكسو عيني الحارس، فيكتفي داخلك بتجديد بناء الأمل المتداعي.

تمتطين السيارة القادمة من خلف مرامي البصر.

ترمين الملف.. تنثرين أوجاعك بين يديه:

-أبي.. الظلمة تكتنف الطريق..

صمت يمارس طقوس الهيبة والوقار.. سحائب تملأ الفراغ.. ثم يأتي صوته.. مطراً.. خزامى.. وشذرات فضة.. ليقول:

-ثمة شموس أخرى تتوارى خلف الأفق.. ما زالت تنتظر أن تكشفي عنها..

## ظل حيادي

### 12

هدهدوا نومهم..

لا توقظوا هذا الليل، دعوه ينام وسط الظلام، وحيكوا حوله وعليه، قصصاً مرعبة، كي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

لا توقظوا هذا البكاء.. لم ينم منذ ستة أسابيع ، وما مات بعد، هو فقط أنهكه الدمع ويريد أن يستريح قليلاً قبل أن يستأنف تيهه.

لا توقظوا هذا الموت، فقد تجرعت منه ما يكفي لأن أُبعث ثانية بأقل دهشة من الحياة..

لا توقظوا الذاكرة، دعوها تنام، ففيها ما يتسع .. لهاوية لا قرار لها!!

# اتفاق ضمني

# 13

لم أقم من مكاني، بعد انتهائي من تمثيل مشهدي القصير في الفيلم. صفق المخرج لي بحماس كبير.. كذلك فعل المصورون، ومهندسو الإضاءة والديكور. مساعِد المخرج دمعت عيناه، لإتقاني دوري. صاح الجميع مبتهجاً، ثم استأنفوا تصوير المشهد التالي.

لم يأبهوا بي.. ففضلاً عن مشهدي القصير الذي لا يتجاوز الدقيقة، فهي كذلك، تجربتي الأولى في التمثيل؛ فلم يعنني أنهم انصرفوا عني سريعاً، أو أنّ أحداً منهم لم يصافحني مهنئاً، على الأقل.

أمضيتُ الوقت بمتابعتهم من مكاني، أشاهدهم وهم يتنقلون مسرعين بين غرفات الاستوديو، أسمع صرخات المخرج، وتومض في عينيّ مصابيح الإضاءة الساطعة، تصلني رائحة أعقاب السجائر، المرمية بإهمال على أرضية المكان، وأتمتم بكلمات الممثلين، الذي حفظت أدوارهم جميعاً من أجل إقناع المخرج بأدائي. مصححاً الأخطاء التي يرتكبونها، دون أن أجرؤ على رفع صوتي بها.

لم أدرك الوقت الذي مرّ، لكن مشهدي كان أول المشاهد التي تم تصويرها، وهم الآن يوشكون على الانتهاء من تصوير المشهدين الأخيريْن.. المقررين لهذا اليوم. زميلي في المشهد، يمثل أيضاً للمرة الأولى، وإن كنتُ لم أر وجهه الذي تطلّب منه الدور إخفاءه بقناع، لكن هذا ما عرفته من الأوراق التي تحوي أسماء الممثلَين،

كان اسمه الأخير في القائمة، وأسبقه برقم واحد فقط. أستعيد صوت المخرج وهو يعلن بدء تصوير المشهد ٢٧، ويطلب من الممثلين اللذين يقومان بأداء الأدوار أن يتقدما أمامه ليشرع في التصوير، تومض المصابيح لكن في عقلي هذه المرة، وأغفي.

أصوات منتشية تأتي تباعاً، ويتكثف الجو برائحة حادة لسجائر أشعلت للتو، فأعرف أنهم انتهوا من تصوير آخر المشاهد، وأن المكان سيخلو بعد قليل، دون أن يلاحظ أحد وجودي في موقع التصوير حتى الآن. أعلم أنهم لن يدعوني للانضمام إليهم، فأفكر بالتزام الهدوء حتى يخرجوا، وأسترجع مشهدي:

(طُرِق الباب، فتوجهت إليه سائلاً عمن خلفه، ولم أسمع سوى همهمة ما تبينتها. قررت ألا أفتح الباب لأني لستُ بصاحب المنزل، كما أنه ليس موجوداً. تتابع الطرق، ثم تحول إلى طرق عنيف، وأنا ما زلتُ عند الباب متردداً حيال فتحه).

***

أنوار قليلة لم تُطفأ بعد، والجميع ينصرف الآن، لم يبق غير المخرج ومساعدهُ لترتيب الأوراق المتعلقة بمشاهد الغد، والتأكد من المعدات وأماكن التصوير، أسمع أصواتهما متقطعة، دون وعي تام بما يقولاه، إذ تتداخل أصواتهما بالمشهد الذي قمتُ به:

(تكرر طرق الباب، فقررتُ فتحه وإن كنت لم أتبيّن من الطارق، فتحتُه ببطء، ليقابلني وجه مقنّع لا أعرفه)

***

أنتبه على وقع خطوات تقترب مني، وضوء يصدر من مصباح يدوي، لا أملك حيال أمري شيئاً الآن، ولن أتمكن من الخروج دون أن يشعروا بي، إذ يبدو أنهما قريبان جداً مني. أريد أن أستعيد المشهد بتمامه قبل تجاوز هذا المكان، وأن أدوّن في ذاكرتي التفاصيل كاملة، أغمض عينيّ بقوة، وأستأنف:

(وقفتُ أمام الوجه المقنّع لثوان، قبل أن يشهر مسدسه ويطلق النار على صدري

فأهوي - كان من المفترض أن يطلق النار على كتفي كما ورد في النص -. هرب المقنّع من المكان، بعدها صرخ المخرج: "ستوووب". ثم صفق لي بحماس كبير.. كذلك فعل المصورون، ومهندسو الإضاءة والديكور، مساعِد المخرج دمعت عيناه، لإتقاني دوري. صاح الجميع مبتهجاً، ثم استأنفوا تصوير المشهد التالي). وبقيتُ وحدي أتلمس فجوة رخوة انفتحت في صدري.

## ظل حيادي

### 13

من يصنع الأشياء الصغيرة التي توقد الدهشة؟
من يلمس التفاصيل الغائبة وسط سطور رواية بليدة؟
من يكتشف الوجوه التي أخفتها تجاعيد زمن طويل؟
من الذي يقتل ملل هذا اليوم المتناسل؟

# فاصل أخير، قبل القبر

# 14

أدركتُ البارحة بأني سأموت، أو ربما كنت وقتها ميتاً دون أن أعلم. بدا وجهي في المرآة شبحياً، وذقني المهمل منذ شهر، كان نظيفاً، أمّا شعري فظهر مسرّحاً بطريقة لا تليق إلا بالموت.

لولا صوت الماء، الذي ظل يتسرب من الأنبوب المكسور في الحمام طيلة الليل، مجبراً إياي على جرّ رجلي الكسيحة إليها، عبر الممر ذي الإضاءة الرديئة؛ لم أكن لأرى وجهي في المرآة، وحين ذلك.. لن أدرك بأني ميّت، وسأستمر في صنع قهوتي كل صباح، وأراقب من شرفتي المتداعية الأولاد، الذين يلعبون بكرة لا يكفي هواؤها الشحيح في منحها تكوراً كاملاً. لم يكن للمرآة وظيفة حقيقية في حياتي إلا أن تخبرني بموتي.

أستطيع من هذه الشرفة أن أرى الشارع الذي ستعبر من خلاله جنازتي: ضيّق، وينحدر بشدة إلى الناحية الجنوبية، قبل أن ينحرف يساراً، مكوّماً في أسفله، كل ما تبصقه المنازل من أقذار. لم تكن تعنيني مطالبات الجيران المستمرة، في أن أوقع معهم عريضة، دأبوا على تكرار رفعها كل سنة إلى البلدية، مطالبين إياها بإصلاح الشارع، الذي يفتقد إلى منفذ تصريف، وفي كل مرة.. لا يتجاوب المسؤولون، وأنا لا أوقع.

كما أني لم أعد أعبأ بابنة جاري، التي تزوجت منذ ثماني سنوات، قبل أن تعود

إلى منزل والديها بثلاثة أطفال، تجرّ أحدهم بيدها اليمنى، وتحمل باليسرى الآخر وحقيبة ضخمة، أما الثالث فقد امتلأ بطنها به. ما عناني أيضاً، تلميحات والدها المستمرة، بالخطأ الكبير الذي ارتكبه إذ لم يزوجني من مدللته، حين تمنيتُ الارتباط بها قبل ١٣ عاماً.

كل ذلك لم يعد يثير اهتمامي، ولا حتى الأصدقاء، الذين لم يكونوا يوماً أصدقاء، ولا الأعداء الذين تزوجوا، وأنجبوا مزيداً من الأعداء.

كل ما يهمني الآن أن أكتم رائحتي، وأن أتحرك من وقت لآخر كي لا يشعر الآخرون بموتي، فيحملني اثنان لا يعرفانني، في الظلام إلى المقبرة، دون أن يمنحوني حتى فرصة اختيار الحفرة التي أريدها.

سأحاول أن أحضّر قهوتي كل صباح في الوقت المعتاد، وربما سأفتعل إحراقها بين فينة وأخرى، ليشم رائحتها الجيران، سأرفع صوت التلفاز في أوقات المباريات النهائية، وأمارس صخباً مصطنعاً في ليالي الأعياد. لكني لستُ متأكداً، ما إن كنت سأتمكن من المشي في الشارع، لأني لا أظن بأن الناس يحبذون رؤية رجل ميت يمشي بينهم.

هذا يومي الثالث بعد الموت، ما زال الجيران يظنون بأني حيّ، وإن لم يكن موتي سيغيّر من الأمر شيئاً لديهم. بدأتُ بفقدان سيطرتي على رائحة جسدي الميت هذا الصباح، رغم أنها ما زالت طفيفة حتى الآن، ولم تتجاوز أنحاء شقتي. لم يبق لديّ سوى التفكير بالأمتار الأخيرة التي سأعبرها إلى المقبرة وحيداً، ما يقلقني أني سأقطعها بلا صحبة، ودون أن يصف لي أحد المشهد القادم.. بالحديث عن سهولته، وأن الكثيرين ألْفَوهُ بوابة يسيرة نحو القيامة، وربما وجدوا رفقاء جيدين للرحلة المتجهة إلى المكان الأخير. ربما كان من الأجدر بي، أن أقضي أيامي الأخيرة في البحث عن من يرافقني، بدلاً من جرّ قدمي الكسيحة في أنحاء بيتي الخرب، والوقوف البليد في الشرفة، دون تذكر الوحدة السحيقة التي تتربص بي حال موتي.

كنت جازماً من أن رائحتي ستشي بي قبل مغرب اليوم الثالث، وأني سأسمع صوتاً وحيداً، يخص سيارة إسعاف. تخيلت ملامح الرجلين اللذيْن سيحملاني

إليها، قبل أن يدلفا إلى المقبرة في الظلام، ويدسا جسدي المتعفن في حفرة بعيدة عن الباب، لا تسمح لي بالهروب حال ذهابهم. لكنهم بدلاً من ذلك، حملوني إلى المستشفى، وأدخلوني ثلاجة مليئة بموتى يتحدثون بصوت عال، ولا يمكثون طويلاً، قبل أن يأتي من يتعرف على وجوههم المتغضنة، ويحملهم إلى حفرهم الأخيرة.

تيقنت أن ما من أحد سيأتي ليتعرف عليّ، ففضلاً عن أني لم أترك خلفي من سيفتقدني، فإن ما من أحد سيعرفني بوجهي النظيف، وشعري المسرّح جيداً.

تيقنت من أنهم لن يمكثوا طويلاً، قبل أن يتخلصوا مني خلسة في الظلام، دون أن يشعر بذلك الآخرون.

ما زالت فكرة الجنازة التي تسير وحيدة.. تثير هلعي.

كانت جنازتي في منتصف النهار. الضوء قد ألبس كل التفاصيل في شارعي وضوحاً صارخاً. رأيتُني في الشرفة أطل على الأولاد الذين يلعبون بكرة، لم يمنحها هواؤها الشحيح تكوراً كاملاً، ورأيتني مع ابنة جيراننا، دون أطفالها الثلاثة. ورأيت الكثيرين من حولي ومن خلفي. كلها وجوه أعرفها، وأتقن ملامحها. كانوا يهتفون جميعاً بوقت واحد، وكنتُ سعيداً بالجموع التي تندد بالموت.. بمن أبعدني عنهم، وأنتشي في نعشي الصغير.. ويكبر جسدي، وأهمّ بشكرهم جميعاً، قبل أن أجد المقبرة فارغة، والشرطة من خلف الجموع تفرق مظاهرتهم ضد مسؤولي البلدية، الذين لا يأبهون لشارع يفتقد منفذاً للتصريف.

## ظل حيادي

14

أصابع بعيدة..

أتدرك الروح المتخلقة وسط الظلام..

الروح التي تحيا ببطء، وتخشى الموت لشدة هشاشتها..

متى كانت آخر مرة، لمستها أصابعك البعيدة..؟

على مهل.. تبدو لنا الأشياء

# 15

لم أكن غائباً عن الوعي كما ظنوا، كنتُ واعياً تماماً، وفي قلبي ترتعش نبضات واهنة، أشعر بها وهي تحاول على ضعف بث الدم إلى أنحائي الباردة..

سمعتُ لعنات السائق، سمعتُ مزامير السيارات الأخرى، التي يدعي أصحابها أنهم يحاولون المساعدة، دون أن يفعلوا شيئاً حقيقياً..

وعرفتُ أننا نعبر طريق الملك فهد، وأنّ الساعة لم تتجاوز السادسة مساء بعد..

في القاعة الكبرى الممتلئة عن آخرها بالحضور.. لم أشعر بشيء، إلا تعثري البسيط على عتبة المسرح.. تعلّق بصري قليلاً بالمكان، الذي كان من المفترض أن أقف فيه؛ لأتسلم فيه جائزتي. وقف المسؤول بابتسامته المتجمدة عليه، منذ بداية الحفل، يراقب سقوطي من مكانه البعيد. تلألأت الأنوار في عينيّ، هوت الأعمدة.. والأشرعة التي غطت السقف. لم يكن هناك ما يؤلم، إذ سرى في جسدي خدر فاتر.. ربما نفخ أحدهم في فمي فيما بعد هواءً، ما زلتُ أشعر بطعمه المر. تراكمت من فوقي الوجوه، والأصوات.. ثم تأرجحتُ في الهواء قليلاً.. ونمتُ..

ماذا لو اكتشف الاثنان اللذان يقفان عند رأسي، أن الشاشات التي ما زالت خطوطها تنبئ أني خارج الحياة.. كاذبة؟ وأني سمعتُ كل ما قالاه عن زميلاتهما المرضات؟ لو قلتُ لهما الآن إني أعرفكما، وساءني ما قلتما، عن قريبتي التي بدأت العمل معكما منذ ما لا يزيد عن الشهرين!

قد يرمونني، أو ربما ينزعون واحداً من الأنابيب التي تخترق جسدي. ربما أيضاً تخذلهما طرق قتلي، كما خذلتهما الشاشات، فلا أموت، ويكون عليهما بعد ذلك الدفاع عن نفسيهما مرتين. مرة عما قالاه بحق زميلاتهما، ومرة لشروعهما بقتلي!! ساعدي ينتفخ الآن بسوائل عدة، وجهي ملجم بكمامة تخنقني، وطريق الملك فهد لم ينته بعد.

تبتعد عني الأشياء.. تموج في عيني.. وأنسى..

## ظل اخير..

غير جميل ..

لم يكن الأمر جميلاً على الإطلاق..

لم يكن جميلاً أن تتعقد الكلمات في فمي.. لأطلب حقي، قبل أن أرّدها إلى قلبي،

هشيم زجاج.. دون أن تسمعها!!

# ذريعة الضوء.. لاغتيال المسافة

# 16

لم أعبأ بالأمر بداية، إذْ أبت ملامحه الظهور..

كان الليل يتجرع ساعاته، دون أن يزعج الأطفال النائمين داخل البراويز الكثيرة، بينما يتمادى السائل القلوي في حرق أصابعي، حُلكة عمياء تمعن في غرز عينيّ بأشواكها، والرائحة الحادة تقتل حاسة الشم لديّ ببطء.

نصف ليلة عبرتني، دون أن تظهر ملامحه، حتى أويتُ إلى نوم مضرّج بوجهه!

لا أدري ما الذي ملأ شريط (الفيلم) به، كان الشريط الأخير بعَد عمل صحفي مضن، و قرّر القدر أن تكون محطته الأخيرة، قبل أن يصعد حافلة لـ.. يمضي، لا أعلَم إلى أين، أعلم أنه مضى، وموقنة من أنه لم يترك رسالة.. لمسافة الزمن الأجدب، التي استشرت بيننا دائماً.

لم نلتقِ إلا قليلاً، عملي الميداني، يتطلب مني غياباً طويلاً عن المنزل، في وقت لا تتيح له تجارته قُرباً مستمراً.. كنّا نتوازى كثيراً، ونلتقي على عجل، بحقائبه المرتّبة للسفر كحقيقة ماثلة، وعنقي المطوّق بـ (كاميراتي) دائماً..

« نظراً لجودة الصور التي تزودين الصحيفة بها، واختيارك الجيد للموضوعات. إضافة إلى تغطيتك لكثير من الفعاليات التي تقام في المدينة، يسرنا دعوتكِ للانضمام إلى طاقم التحرير في الصحيفة، وتوقيع عقد رسمي براتب شهري يُتفق عليه حال موافقتك على بنود العقد»..

رئيس تحرير صحيفة العاصمة
جمعة الخميس
نسخة للمصورة ميسان الخالد
نسخة للصادر

***

٣٦ صورة، لا تحمل وجهاً أو ملامح، لا تحمل صوتاً كذلك، مع يقيني أنه لا يجب أن تحمل صوتاً.. هكذا درست، وهكذا كتب الله على هذه المادة السوداء المُبصرة.
لم أيأس من كون النتيجة متكررة..
٣٦ بقعة بيضاء، ذاكرة مجوفة تماماً، دائرية الأطراف، بحواف سوداء حادة، تنفي كل التفاصيل إلى خارجها.
بذرة من قلق وقعت في القلب، فوجدت لها مكاناً آمناً للنمو. لم أجدني بحماس كهذا من قبل، تجاه أيّ صورة سابقة.. محاولتان فاشلتان، كانتا كافيتين جداً، لأن أتوقف عن إظهارها.
كنتُ أبرر لنفسي هذا الحماس.. بأني يجب أن أوجد له مكاناً مميزاً في سجلّ الذاكرة، رغم أني أكثر من يعلم بأنه لا يستحقه، أو ربما لأني أريد إرضاء ضميري، الذي مارس عليّ ساديّة مفرطة، لعدم حزني على غيابه، كما يجب أن تفعل أي امرأة تجاه رحيل زوجها، فأردتُ لموته رهبة أكثر.
كنت أخاف نسيان ملامحه، خصوصاً أني لم أجد أي صورة له، كان الألبوم الذي نرتب به ذاكرتنا.. خالياً، وتبدو آثار نزع عنيف للصور، لم يبق سوى تلك التي لا تحمل غير أماكن خاوية، أو مقاعد لا أثر لجلوس إنسان عليها، حتى أشرطة الفيديو التي توهمتُ وفاءها، وجدتها مملوءة بتسجيلات لمباريات كرة القدم، من بطولة كأس العالم الأخيرة!
طوال النهار التالي كنت أبحث في الخزائن التي لفظت أشياءه سريعاً بعد موته، علّ دليل ينتشلني من التيه، فما وجدت غير يباب، ورماد بارد صبغ يديّ بلون شاحب كالرحيل.

كل الوجوه.. مسافرة، أو على شفا سفر..
تلح بإصرار غريب على ترك مساحات الذاكرة نظيفة من غير أثر. كنت أظن أن وجهه هو الوحيد الذي تقاعدت ملامحه عن الظهور، حتى أدركتُ بأن الصناديق والأشرطة السوداء، لا تهدر بغير بياض صاخب.
بعد محاولات منهكة، وفاشلة في إظهار تفاصيل تلاشت، قبل أن توجد. تقلدت آلتي، ومضيت أحرث في دروب قحلت من خطاي منذ زمن بعيد.
ابتسامة.. قرض السوس شيئاً من بهجة أسنانها الأمامية..
مقعد خشبي، انحنى فوقه ظهر مثقل بالعمر..
عينان مغرقتان بالانتظار..
وتفاصيل لوجوه مارقة، لا تلتفت.. ولا تتمهل..
كتب-المحرر
حازت المصورة (ميسان الخالد) في صحيفة العاصمة، جائزة الدولة الأولى في التصوير الفوتوغرافي، عن مجموعتها الأخيرة المعنونة بـ(ملامح)، والتي تميزت بنظرة مختلفة، وطريقة تجريبية جديدة، تستحق المتابعة.
الجدير بالذكر أن ميسان، التي عُرِفت بتصويرها للبورتريهات، ومظاهر حياة الشارع، امتنعت عن التعليق على فوزها، واكتفت بشكر لجنة التحكيم، التي أحسنت الظن بصورها. متمنية للجميع حظاً جميلاً.
لا شيء!
تماماً لا شيء!!
سوى لفائف سوداء سرمدية، تمعن في تناسل عقيم..
لا وجوه.. سوى بقعة من بياض متوهج، يمسخ الملامح..
يقود الأعين لجنون الألوان..
يحيل الأنوف والأفواه.. إلى مسوخ من نور!
كيف يغدو النور مرعباً إلى هذا الحد؟!
لم يمارس تهميشاً مستمراً للذاكرة؟!
لا أستطيع الاستمرار في حياة من برزخ!

هذا النسيان الناقص يعرف تماماً الطريق المستقيم نحو.. الجنون!
كيف تقتنع طفلة جيراني، التي طلبت مني التقاط صور لها هذا الصباح، أن لعنة الفراغ تلاحقني؟ وأن أصابعي قد تمكن منها الموت، وعدستي عمياء؟!
وأني لن أظهر صوراً لا تعبأ بي.. وتتبجح بوجوه لا تطل إلاّ على الآخرين!

# مخرج.. لا يفضي إلى الخارج..

سنكتب، لا شيء يثبت أن الزمان طويل اللسان سوى الكلمات التي لا تصد..
سوى موت صاحبها..
فقلها..
وقلها..
وخفف عن القلب بعض التلوث والأسئلة
وقلها..
وخفف عن الناس بعض التلوث والأسئلة
وقلها..
وخفف عن الناس سادية العصر والأخوة – القتلة سنكتب من غير قافية أو وطن؛
لأن الكتابة تثبت أني أحبك،
وأن لأمي حقاً بقلبك..
وأنّ يديك يداي، وقلبي قلبك!

**بصوت: محمد درويش**

# مَسْرد


| | |
|---|---|
| اتجاه | ٥ |
| توثيق.. وتنويه | ٦ |
| رسالة للرياح | ٧ |
| ضي | ١٣ |
| مدن خرساء | ٢٣ |
| ذكرة ممسوحة | ٣٣ |
| مطر قاحل | ٤٩ |
| الجمعة 12:10 pm | ٤٥ |
| انطفاء | ٥٣ |
| تسجيل خروج | ٦١ |
| وطن يبعد.. | ٦٩ |
| قارب الميدوز | ٧٧ |
| جدران صفراء.. قذرة | ٨٩ |
| شموس أخرى تنتظر | ٩٧ |
| اتفاق ضمني | ١٠٣ |
| فاصل أخير قبل القبر | ١٠٩ |
| على مهل.. تبدو لنا الأشياء | ١١٥ |
| ذريعة الضوء.. لإغتيال المسافات | ١٢١ |
| مخرج.. لايفضي إى الخارج.. | ١٢٧ |

الملل يعبث برمادك، وأصابعك تعبث بأزرار الهاتف الجوال..
ويدك الأخرى ما زالت تقبض على الملف..
رنين.. يسرّب الحياة لجهازك..
صوت قادم عبر الأثير يعلن حضوره بعد دقائق.
تتأهبين.. تشدين على الملف بقوة أكبر.. شكٌّ يكسو عيني الحارس،
فيكتفي داخلك بتجديد بناء الأمل المتداعي.
تمتطين السيارة القادمة من خلف مرامي البصر.
ترمين الملف.. تنثرين أوجاعك بين يديه:
-أبي.. الظلمة تكتنف الطريق..
صمت يمارس طقوس الهيبة والوقار.. سحائب تملأ الفراغ.. ثم يأتي
صوته.. مطراً.. خزامى.. وشذرات فضة.. ليقول:
-ثمة شموس أخرى تتوارى خلف الأفق.. ما زالت تنتظر أن
تكشفي عنها..

وهج الحياة للنشر
Wahj Alhayat For Publishing
إصدارات ٢٠١١ - ١٤٣٢هـ
9786148281
25 RS